الجوهرة النفيسة

في الطريقة النقشبندية

ألّفه

العلامة الجليل المرشد

حسن بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي الداغستاني

المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . أعوذ بكلمات الله التامَّات من غضبه وعقابه ، وشرِّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ، من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يُضْلِل فلن تجد له وليّاً مرشداً ، وإن يمسسْك الله بضُرٍّ فلا كاشف له إلاَّ هو ، وإن يمسسْك بخير فهو على كلِّ شيءٍ قدير ، يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الظاهرة والباطنة ، وجعلَنا من أُمَّة حبيبه محمد المصطفى ﷺ ، ولم يجعلنا من الكَفَرَةِ الفَجَرَة ، وفضَّلَنا بمحض فضله بالهداية إلى الطريقة السالمة ؛ أَلاَ ! وهي الطريقة النقشبندية الخالصة من البدع الضالة ، والصلاةُ والسلامُ على محمد الذي اقتصر[1] الخِلافة الباطنة على أفضل الأمة بعد الأنبياء أبي بكر الصديق عليه الرحمة والرضوان ، وعلى صِهره الذي هو سيّد الشُجْعَان عليّ المرتضى كرَّم الله وجهه .

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعلّه : أقصر أو قصّر .

❊ **رشحة**

قال قدس سره : إنَّ التعلُّق بالمرشد وإن كان تعلُّقاً بالغير واجب النفي في الأخير لكنَّه في الأوَّل سبب الوصول ونفي التعلق عن ما سوى المرشد من اللوازم .
قال المشائخ قدس الله أرواحهم : التوفيق مع السعي وكذلك يكون مدد روحانية المرشد للطالب على قدر سعيه بأمر المرشد فإنه لا بقاء لهذا المعنى بدون السعي وليس لتوجه المرشد للطالب بقاء فوق أيام قلائل « رشحات » . انتهى اختصاراً عبارته ٦٩ .
وسمعت سيّدي عليّاً الخواص يقول : الحكم في جميع الأعمال الصالحة لغلبة الباعث ؛ فمن غلب عليه تلاوة القرآن لدنيا يصيبها حبط عمله المذكور ، أو للأجر الأخروي فلا حبوط .
قال ومن أراد من الفقراء أخذ الأجرة على القرآن أو العلم من غير نقص الأجر في الآخرة فليعقد نيته على تلاوته تقرُّباً إلى الله عز وجل ، ثم يأخذ تلك الدراهم التي تعطى له على تلاوته على نيّته أنَّ ذلك ابتداء عطاء من الله تعالى لا بيع لقراءة القرآن والعلم بتلك الدراهم . انتهى « لواقح الأنوار القدسية » . عبارته ٢٠٤ ج١ على هامش « المنن الكبرى » . (هامش الأصل) .

فجميع الطرق مع كثرتها ينتهي انشعابها إلى هذين البحرين التيّارين[1] ، وينتمي أنجمها إلى ذينك النيِّرَيْنِ السيارين ، ونسبة الطريقة مسدودة أبوابها وممنوع انشعابها إلا لهذين الإمامين ، وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه أمّهات المؤمنين .

وبعد :

فيقول العاجز عن أداء حقوق الأستاذ فضلاً عن أدآء حقوق الله سبحانه ، الراجي من الله العفوَ والمسامحةَ عمَّا صدر منه في المعاملة **حسن بن العالم الحاج محمد القحي الهدلي** رحمه الله إفلاسه ، وستر عيبه وغفر ذنبه ، آمين اللهم آمين :

لما رأيت - أكثر الخلق في هذه الديار الداغستانية وقعوا في هذه الطريقة حَيَارَى ، لا يعلمون أن يفرِّقوا بين الحقِّ والباطل بكثرة المُنْتَحِلِينَ وأهل الدعوى ، ووجدْتُ الطريقة النقشبندية السالمة - الباقية على أصلها ، من غير زيادة ولا نقصان ، بلا امتزاج البدع والأهواء فيها مُذْ زمن مؤسِّسِها إلى زماننا هذا - محرَّفة عن أصلها ووضعها بإدخال المتشيخين فيها ما أرادوا من الأذكار اللسانية والأوراد الجهرية ، وشَاهَدْتُ من المنتسبين إليهم عدم الإنتاج من تلك الأذكار والأوراد ، بل تحقَّقنا منهم أنَّ هلاكَهم أقرب من سلامتهم ؛ ولو داموا يذكرون الله ليلاً ونهاراً ؛ لأنَّ شرط الذكر النافع الناتج أن يأخذه الذكر[2] بالتلقين من أهل الذكر الذين رَخَّص لهم شيخه[3] الكامل العارف المأذون له ، وهو كذلك إلى أن يتَّصل نسبتُه إلى النبي عليه السلام .

وتَحَقَّقْتُ منهم عدمَ شمِّهم من رائحة الإخلاص شيئاً مّا - **مع أن مراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام**

---

(١) التيار : الموج . « صحاح » .

(٢) هكذا في نسخة التي بيدنا ، ولعلَّه : الذاكر .

(٣) ولعله : شيخهم .

العمل بالإخلاص - بزَعْمِ بعض منهم أنه أخذ الإذن من الروحانية وأنه أُوَيْسِيٌّ ، وبزَعْم بعض آخرَ منهم أنه أخذ من النبي عليه الصلاة والسلام بلا واسطة ، وبزَعْمَ أبعاض منهم أنهم أخذوا كذا وكذا . ولم أجد من ينبّههم على عدم جوازَ ما هم عليه - صرْتُ[1] في غيره[2] ؛ ولأجلها كنت شمَّرت الذيل لتأليف كتاب بيَّنَ فيه جميع اختراعات أولئك المدّعين ، مع أن[3] بيان الدلائل والنصوص لردِّ تلك الاختراعات والبدعات .

فبتوفيق الله تعالى وإعانته ، وباستمدادات أرواح ساداتنا النقشبنديين أتممتُ تأليفَه ، وصار ذلك الكتاب مقبولاً عند قطب الأولياء ذي الجناحين العسليّ قدس سره ، وصدَّقه بأحسن تصديق ، وكذا صدَّقه العلماء الربّانيون ، والعرفاء[4] النقشبنديُّون ، وغيرهم من علماء الظاهر من الفقهاء ، وكتب عليه صكَّ الإجازة والتصديق ، وسمّيته : « بالدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » ، فصار ذلك الكتاب - فالحمد لله رب العالمين — كتاباً حافلاً لجميع قواعد أهل التلقين والإرشاد ، وقواعد الأذكار والأوراد بحيث يُقرُّ له من نظَر إليه بالنظَر الصائب ، ولكن المعاندَ لا يروِّج الخالص ، ومعلوم مشهور أنَّ من تفرَّد بالفضل والكمال فهو محسود بين الخلق والأنام .

فوقع ذلك الكتاب في يد من كان في عَهْد واحدٍ ؛ لم أكن علمتُ أنه[5] من جملة هؤلاء المتشيِّخين ، فنسخ ذلك الرجل من ديباجة ذلك الكتاب أَسْطُراً ، وخلطَت الوُشَاةُ[6] في المحاورة نميمةً ممَّا لم أكن قلته ،

---

(١) جواب لماَّ رأيت .

(٢) لعله : في تغييره .

(٣) لعله زائدة .

(٤) العريف والعارف بمعنى ، مثل عليم وعالم ، وقال سيبوَيْه : هو فعيل بمعنى فاعل ، والجمع عرفاء . « تفسير الطبري » .

(٥) أي : الواحد .

(٦) والمشاء : النمام . والمشاة : الوشاة . « القاموس المحيط » .

ولا أنا ظننته ، وأغروه[1] على كتابة السطور على ذلك الكتاب بالردودات ، وقالوا له : إنّ المراد من بعض مَنْ ذُكِرَتْه في ذلك الكتاب إجمالاً هو نفسه وشخصه . فالتهب وقتئذ من رأس ذلك الواحد المذكور نارُ الغضب والحسد ، وأظهر من نفسه ما كان عنه لدينا مستوراً ، كما يُظهر الغراب وَكْرَه بأصواته ، فشمّر لتأليف رسالة على ما وقع بيده من تلك الأسطر ما يراد[2] الردودات والاعتراضات بلا بيان النقولات والمأخوذات ، بل بما ظهر له من المسموعات ،

ثم بعد زمان أرسل ذلك الرجلُ الذي أوقع ذلك الأسطرَ إلى يده تلك الرسالة لدينا - فجزاه الله ومؤلِّفَ الرسالة عنّاً خيراً وألهمنا وإياهما رُشداً ، آمين - فوجدتُ فيها أشياء يظنُّ الناس أنها صائبةٌ مع أنها في الحقيقة غيرُ مقبولة ، وعند العرفاء غيرُ مرضيَّةٍ ، فخفت على الخلقِ من تلبيس إبليس - عليه الطرد واللعنة - لأنه هو المتجرِّد لإغواء الأُمَّة ، والمتفرّد لجلب الغُمَّة ، فرضي الله تعالى عن ذلك الكاتب ؛ وهو : العالم الحاج علي العبوخي ، فقد أصاب وأحسن لو كان قصدُه ونيَّته من كتابتها إظهارَ الحقِّ الذي عنده لمجرَّد وجه الله ، لا للتحاسد والتغاضب . فلا يخيِّب الله سعيَه ، بل يشكر عملَه ؛ لأن أجور الأعمال بالنيات ، والنيات تجب أن تكون خالصاتٍ ، وإلا تكون خاسراتٍ وعن الثواب خالياتٍ ، وإن كان قصدُه غيرَ ذلك فلعلَّ اللهَ تعالى يغفر له وهو الغفور الرحيم ، ذو الفضل العظيم والبِرِّ العميم .

(١) أي : ذلك المتشيخ لا المريد .
(٢) لعله : تراد .

قف على كون الإذن من أرواح المشائخ ومن أصحاب النوبة

فإذا كان الأمر كذلك طلبتُ من أرواح مشائخنا الإذنَ لتأليف كتاب ببيان ما عليه رَأْيُنا ، وإظهارَ ما وافق النقول ، وما خالف السنة والنصوص ، واستأذنت أيضاً من أصحاب النوبة واستمددت منهم ، فبعد انشراح الصدر وحصول الفرح شرعت في تأليفه راجياً من الله أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يُدخلنا في جملة أحبابه مع من وقع سبباً لهذا التأليف ، **وسميته بـ :**

« الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة العلية »

كما سمّيت أصلها بـ « الدرة البيضاء في ردِّ البدع والأهواء » ، فأسأل الله تعالى أن يجعلهما نافعيْن للعباد .

والمطلوبُ من كلّ من وصل إلى يده ذانك الكتابان أن يدْعوَ لي ولشيخي وسندي بالعفو والعافية ، وهما من جوامع الكلم والدعوات ، ولا سيَّما المقصود الأعلى من هذا العالم **الحاج علي** - هداه الله إلى ما يرضاه ، آمين - أن لا يسيئ بنا الظنّ ولا يحسُدنا ، وأن يكون سليم الصدر غيرَ حاقد ، كما كنا كذلك في حقِّه ، وأن يُسلكنا في دعواته وتضرُّعاته ، وأن يكتب على كتابنا هذا ما ظهر عنده من الحقِّ ، وأنا على ذلك راض ، وبظهور الحق - ولو كان عند غيري - فرِحٌ مستبشرٌ .

والمعلوم الظاهر أنَّ هذا الزمان زمان خَؤُون ، وأكثر الناس همَّازون مشَّاؤون ، فلا يجوز لعاقل أن يَثِق أكثر أقوال الوُشاة ؛ فإن الأغلب فيهم انتقال[1] الأقوال ، وإغراء الناس على التباغض والتحاسد . **ولا يخفى أنّ من نمّ لك نمَّ عليك** ، فيجب على من له أدنى نصيب من الإيمان أن يحمل كلام العباد وأقوالهم إلى محْمَلٍ حَسَنٍ ، ويجب على من تفجَّر من قلبه على

(١) علَّه : نقل الأقوال .

لسانه ينابيع الحكمة أن لا يتكلَّم بين الناس إلا على قدر عقولهم وفهمهم ، وإلاَّ فيحرِّفون الكلِم عن مواضعها ويُقلِّبونها عن مصارفها .

وقد ذكر الخادميّ في شرحه على « النصائح الولدية » للغزالي هذه العبارات : لا تنطقوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها ، ولا تطرحوا الدُرّ تحت أرجل الخنازير ، ولا تُعلِّقوها في أعناق الكلاب . فاحتيج في تأليف هذا الكتاب - وفقاً على ما كان الباعث إلى جمعه - إلى تقديم مقدمة ليبني عليه الكلام . **فنقول** : وله الحمد بجميع محامده ، ما علمت منها وما لم أعلم ، على جميع نِعمه ما علمت منها وما لم أعلم ، عدد خلقه كلِّهم ما علمت منهم وما لم أعلم .

اعلم أيها الأخ المشرِّح لديباجة كتابي - جزاك الله عنا خيراً وجعلك من أقرب المقرَّبين آمين - أنه ينبغي لكلِّ ذي عقلٍ ودين أن لا يقع في ورْطة الإنكار والاعتراض على هؤلاء القوم من الأولياء ، فإنه السَمُّ القاتل ، كما شُوهد ذلك قديماً وحديثاً ، لكن إذا ظهر واحد يدَّعي الشيخوخة ويزعُمُ مقام الدعوة إلى الله ، يجب على العاقل العالم والجاهل المقصّر أن يتفحَّص من أحواله ، ويتفرَّس من صنيعه ، فإنْ وَجَدَه صادقاً وظهر منه أمارة الصدق ، ووافق ما يفعله فيلقِّنه[1] من الأوراد والأذكار على ما كان عليه أشياخه في زَعمه من غير تحريف ولا تبديل ، ونتج عنده المريدون وفُتح عليهم ، صَدَّقَهُ وأَقَرَّهُ ويجب عليه إعانته وإمداده . وإن وجده على خلاف ما ذُكر يجب عليه أن ينكره ويعترضه ويمنعه عما يفعله ؛ لأنه شيطان في زيِّ شيخ ، وفِتْنتُه على الخلق أكثرُ من فتنة الشيطان الحقيقيِّ ؛ وهو قاطع طريق الله ومانع الناس من الوصول إلى حضرة الله .

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعل ما يفعله ويلقّنه إلخ . .

قال خاتمة المرشدين الكاملين ، وإمام العلماء العاملين ، وقدوة الأولياء الواصلين ، المظهرُ ، الأظهرُ الرحمانيُّ الشيخ محمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي - قدسنا الله بسره وأمدَّنا بمدده رضاه وبرّه - نقلاً من كتاب « الأسفار » شرح « رسالة الأنوار » في أثناء وصاياه في « البهجة السنية » :

وصية : يا أخي - رحمك الله - قد سافرتُ إلى أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد فما رأتْ عَيْني ولا سمعت أُذُني أشرَّ ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله تعالى من طائفة تَدَّعي أنها من كُمَّل الصوفية ، وتنسب نفسَها إلى الكُمَّل وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا يؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ، ولا تتقيَّد بالتكاليف الشرعية ، وتقرر أحوال الرسل وما جاؤا به بوجه لا يرتضيه مَنْ في قلبه مثقال ذرَّة من الإيمان ، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان .

لا تسكن في قرية فيها واحد من هؤلاء الطائفة

ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشيروان وجيلان وخراسان ، لعن الله جميعهم .

فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هؤلاء الطائفة ، لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ ، وإن لم يتيسَّر لك أن لا تراهم ولا تُجاوِرهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم ؟ ! وإن لم تفعل فما نصحتَ نفسك ، والله الهادي . انتهى .

ولقد ورد إلى هذا الفقير رسالةٌ من طرف العالم الربَّاني ، والعارف الصمداني ، صاحب الكشوفات الغريبات ، والفراسات العجيبات ، السيد الأمير سيف الله الغازي الغموقي الحسينيّ النقشبنديّ ، وقال فيها بعد نقله

ما ذكر من « البهجة » : ولقد رأيتُ كثيراً منهم في ديار الداغستان يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ، زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية أو في النوم ، وليس هذا إلاّ افتراءً منهم ، وليس لهم همّة ولا اعتناء إلا جمع الحُطام لأجل هذه الفانية عياذاً بالله منهم . انتهى باختصار .

وورد إليّ من طرفه قدس سره رسالة أخرى ، وكان في أثناء نصائحه ووصاياه هذه العبارات : وإيّاك إيّاك النظَرَ إلى آثار مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر ، والحذرَ من الجلوس معهم ، فذلك- والله - هي الفتنة الظاهرة ، وملاقاة الشيطان أسلم من ملاقاتهم ، إلى آخر ما قال .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم محمود أفندي في مكتوباته من الفصل السادس : قالوا : المشائخ ؛ أي : ما يطلق عليه اسم الشيخ ثلاثة :

منهم : من ليس في يده تصرُّف في المريد وتأثير فيه ، فهو كالعوام ، بل هم أضلُّ من الأنعام ليس فيهم المَشْيَخة إلا اسمه ورسمه ، كما هو حال أكثر مشائخ الزمان . وقال مولانا خالد السليماني مجدد المائة السابقة : ويجب الاعتراض على حالهم والإنكار ؛ لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذَهابهم باب أهل الكمال ، ومنعهم عنه ، ولكونهم سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين ، كما سيجيء في هذه الرسالة . انتهى .

وفيه : وقال [في] « روح البيان » في سورة آل عمران : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدّعون المعرفة وتمْكينهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا ، عذابهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ولدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهنّ وأولادهنّ سبعين مرة .

فلو نظرتَ إلى شيوخ الزمان وجدتَ أكثرَهم مدَّعين ما لم يتحقَّقوا به ، يُضلّون الناس بأكاذيب ، ويرون أساليب ليس فيها أثر المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترَّ بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً

بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يميِّز بين الحق والباطل والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى كلام « روح البيان » عبارته .

وقد استوعبنا الكلام في حق هذا الباب في رسالتنا المسمَّات بـ« **الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء** » ولولا ذلك لشرحناه بالبسط التام . فظهر من هذه النقول جواز الإنكار والاعتراض على هذه الطائفة الغارة ، بل تحقَّق وجوب منعهم عن فعلهم لدى من في قلبه شائبة حبٍّ لسنة رسول الله عليه السلام ؛ لأنهم أماتوا السنة الخالصة ، وخرَّبوا الطريقة السالمة بتخليط البدع والاختراعات ، ولأجل ذلك صنَّفنا ذلك الكتاب المذكور[١] ببيان الأصناف من أولئك الطوائف بالإجمال ، لا بالتفصيل .

وقد قال الإمام أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمودة » : إنَّ المداهنةَ في الشرع عدمُ تغيير المنكر مع القدرة عليه ، رعايةً لجانب مرتكبه أو لجانب غيره ، أو لقلّة المبالات بالدين . انتهى . وقال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » : فهذا حرام ، فقد ورد في الخبر « إنَّ الساكت عن الحق شيطان أخرس » . انتهى .

وقال أبو سعيد في « البريقة » : وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قيل أو قلت : يا رسول الله تخسف[٢] الأرض وفيها الصالحون ؟ قال « نعم ، بإدهانهم[٣] وسكوتهم عن المعاصي » . وعنه عليه الصلاة والسلام « إنَّ ناساً من أمَّتي يُحشرون من قبورهم على صورة القردة والخنازير بما داهنوا ، وآكلوهم وشاربوهم وجالسوهم » .

---

(١) أي : « الدرة البيضاء » .

(٢) أي : هل تخسف . (الهامش) .

(٣) من المداهنة (منه) .

وعن حسن : التنبيه للنجم الغزي على رواية أبي هريرة « ما أتى الله تعالى عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيّين ؛ من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار » ، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ ، ولهذا كان الثوري إذا رأى المنكر ولا يستطيع أن يغيّره بال دمّاً .

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه « إن الله تعالى لا يعذِّب العامة بعمل الخاصّة ، ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحقَّ القوم جميعاً العقوبة » . انتهى عبارته .

ولا يخفى على العاقل العالم أنَّ الولي ولو كان أعلى مقاماً وأرفع درجة لا يصل إلى درجة العصمة ، وهي مختصة بالأنبياء ، ولا يستبعد أن يقع في أعظم ذنب يكون على وجه الأرض ، فإن طينة الخلق ما عدا الأنبياءَ والملائكةَ عليه الصلاة والسلام واحدة ، فجائز أن يقع الولي فيما يقع فيه الفاسق ، كما قال ذلك الشعراني في « مننه » .

فإذا كان الحال في حقِّ المداهنة كذلك ، وجاز أن يقع الوليُّ في الفسق وجب على من له غيرة دينيّة أن يُظهر الحقَّ ويُبطل الباطلَ بما علّمه الله تعالى من العلم . ولا يرد على ما ذكر : أنكم أسأتم الظنّ على المؤمنين وذلك حرام كسوء القول ؛ لأن سوء الظنّ بالمؤمنين حرام بمجرّد الوهم أو الشك بفسادهم وفسقهم من غير علْم أو ظنّ ، وأما بهْ فليس بحرام ، بل بغض في الله مأمور به . كذا في « الحاشية » ، لكن قالوا : ينبغي للمسلم إن رأى عيباً في أخيه أن يحسن الظنَّ على المؤمنين ما قَدَرَ بتأويلات ، فعند مطلق الظنّ ينبغي أن لا يتجاسر على المماشات على موجب ظنه ، ويحمل على الصلاح بأدنى إمكان ، إلا إذا اقتضى دواعي الأمر بالمعروف ، والتأديب والتعليم الشرعيّ . كذا في « البريقة » .

وقال الإمام البركوي رحمه الله تعالى في « الطريقة المحمدية » : وأما أهل المعصية والفسق المجاهرون أو دلَّ عليه قرائن تفيد غلبة الظنِّ ، فعلينا أن نبغضهم في الله تعالى ، وليس من سوء الظن في شيء . ويدلّ على هذا قوله تعالى ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ الآية . انتهى .

كيف يكون كلامنا من قبيل سوء الظن مع أنّنا شاهدنا من هؤلاء المتشيِّخين كلماتٍ تخالف هذه الطريقة ؟ ! وتحققنا من أقوالهم الإنكار الشديد على من استقام بما كان عليه أشياخه الكاملون المكمّلون ؟ ! بل رأينا بعضاً منهم لم يتحقَّق ما يجب عليه من الإيمان ، ومع ذلك يدَّعي الشيخوخة والمكاشفة ، ويخبر الناس ما ظهرله من الكشوفات ، ومع هذا يتصدّر للتلقينات ، ويتخذ له المريدين والمريدات . ووجدنا بعضهم يلقِّن الأذكار ويرتِّب الأوراد ، ويظنّه الناسُ أنه شيخ الزمان **مع أنه لم يعلم ما القلب وما حياته** .

وقد قال الإمام السهروردي : إنما يحيى القلب بقلب حيّ . وقال أيضاً : يجب على المريد طلب أهل التلقين لحياة القلب . انتهى . فاعتبر بشيخ يطلبه المريد لحياة قلبه وهو لا يعلم ما حياة القلب !

وأخبرني أخونا العالم المرشد الحاج حبيب الله – رزقه الله التوفيق – : أن واحداً ظهر في قرية مِيَرْطَهْ على صفة الشيخوخة بلُبْس العمامة ، فتفرَّس ذلك العالمُ حبيبُ الله في ذلك الشخص فعَلم أنه سارق ، فسُرِقَ في زمانه بساطٌ من مسجد مِيَرْطَهْ ، فتفرَّس ذلك الأخ أنَّ سارقه هوذلك الشخص المذكور ، فأغرى الناس إليه وأظهره وعلَّمهم بأنَّ السارق هو هذا ، فالتجؤوا إليه وحبسوه وخوَّفوه ، فبعد زمان أقرَّ هو على ذلك ، وسلَّم البساط إلى أيديهم ، وأطلقوه إلى سبيله . وهذا عين ما أخبرني ذلك العالم المذكور .

وظهر آخر وادَّعى أنَّ شيخه هو النبي بلا واسطة ، ومع ذلك يقول : لايجوز لأحد الدخولُ في الطريقة ، ويقول : لا يجوز لأحد إلا الشريعة ، وينكر أصل الطريقة ، ويلقِّن أسماء وآيات ممَّا لم نسمعها في طريقة من الطرق ، فاشتهر ذلك بين الورى ، وأقبل إليه الأفراد ممَّن لا معرفة عندهم ، وصار شيخاً عظيماً ، وهو مذكور في رسالتنا « الدرة البيضاء » ، والنقول في ردِّ ما يفعله مسطور فيه ، وكذا أصنافهم مذكورون فيها فرادى مع ما يردُّهم ، فمن أراد أن يظهر الحق من الباطل فليراجع إليه ، فلعلَّه يجد فيه بسطاً شافياً . فهكذا أحوال هذا الخلق ، وهم مغرورون بإظهار أمثال هؤلاء الجماعة بكلمات ؛ ظاهرُها مقبول عند الجهلاء ، وباطنُها مردود لدى العلماء .

قال الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى : إنَّ الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ، ولو لا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب . انتهى .

فإن قيل : فما ذا نفعل الآن إذا كان الحال كما ذكر ؟ قلنا قال الله تعالى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ، وقال عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ . وقد قال الأصوليون : إنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فكان الواجب على كل من له أدنى نصيب من الإيمان وأقلّ غيرة على الطريقة المحمديّة الصدّيقية أن يزن أحوالَ شيخه وأفعاله إن كان الشيخ ينتسب إلى هذه الطريقة النقشبنديّة العلية بميزان أكابر أربابها

المتقدِّمين ؛ فإن وافق فعله وتلقينه بأفعال وتلقينات أهلها ، وكان ذلك الشيخ مأذوناً بالإذن المعتبر من قِبَل شيخه المقبول ، ونتج بما لقنه له ، فذا شيخ مقبول ، ومرشد مرضيّ ، فينبغي لمن انتسبه أن يتعلّق على ذيله ، وأن يكون بين يديه كالميّت بين يدي الغاسل .

فإن الطريقة النقشبندية باقية على أصلها وسالمة من كدورات البدع والأهواء ، ولكنّ المتصدرون بأنفسهم في زماننا هذا غيّروها عن أصولها ، ولم يبالوا بما يرد عليهم من عقوبة من أمات السنة ، وأحيى البدعة .

قال في « المفاتيح » : فإن العمل بسنة من سنن رسول الله ﷺ يتضاعف ثوابه وإن كان عبادة قليلة على عبادة ليست بسنّة وإن كانت كثيرة . انتهى عبارته . ولهذا قيل : قليل العمل مع العلم كثير ، وكثير العمل مع الجهل قليل .

وقال في « النور الساطع » : ومن المعلوم أنَّ التقرب [إليه] سبحانه وتعالى إنما يكون بما شرع من الدين بواسطة فخر المرسلين عليه الصلاة والسلام . انتهى .

وفيه أيضاً : فيلزم وزن أعمال الشيخ بميزان الشرع ، فإن وافقت عُمل وإلا رُدّت ؛ لقوله عليه السلام « كلّ عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » . انتهى عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : إنما التعظيم للأشياخ بعدم مخالفتهم . انتهى عبارته . ومن خالف أستاذه حَرَمَ بركتَه ومقت بسببه . فالعياذ بالله من المقت والضلال .

ولا يخفى أن من خالف ما كان عليه الأقطاب من طائفة هذه الطريقة النقشبندية ، واعترض [على] من يعين إقامة طريقتهم على الاستقامة فقد أساء

الأدب معهم ، مع أنهم بَنَوْ قواعد أمرهم على أصول صحيحة وسنَّة سنيَّة ، وصانوا فيها من البدع ، وأتوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة .

وإساءةُ الأدب مع الأولياء - فالعياذ بالله - وإيذاؤُهم سبب المقت والحرمان ، فلنورد هنا بعضاً مما وقع للمنكرين بإساءتهم أدبهم مع الأولياء ، لعلَّ من ينظر هذا الكتاب ينتفع به .

مطالب مهمة

قال ابن حجر في « فتاواه » : ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ « من آذى وليّاً لي فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أني محارب له ، **ومن حارب الله لا يفلح أبداً** .

وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء ، وآكل الربا . وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّاً من سوء الخاتمة ، **إذ لا يحارب الله إلا كافراً** . انتهى .

وقال الإمام أبو القاسم القشيري : **قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ، ومن ردَّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبَّ ذلك ولو بعد حين . ومن خذل بترك حرمة المشائخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ** . انتهى من « الفتاوى » عبارته .

وفيه أيضاً : وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم ، فوافقت ابن السقا ورافقته في طلب العلم بالنظاميّة ، وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل يقال له : الغوث ، يظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء ، فقصدنا زيارته ، أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقا ونحن سائرون : لأسألنَّه مسألة لا يدري لها جواباً ، وقلت : لأسألنَّه مسألة وأنظر ما يقول

فيها ، وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن أسأله شيئاً ، أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السقا تسألني مسألةً لا أدري لها جواباً ؟ ! هي كذا وجوابها كذا ، إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك ، ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله أتسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها ؟ ! هي كذا ، وجوابها كذا ، لتخرنّ الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك ، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر ، وأدناه منه وأكرمه وقال : يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك ، كأني أراك في بغداد وقد صعدت الكرسيّ متكلماً على الملأ ، وقلت : قدمي هذا على رقبة كلّ وليّ لله ، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنُّوا رقابهم إجلالاً لك ، ثم غاب عنا فلم نره . قال : وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارة قربه من الله ، وأجمع عليه الخاص والعام ، وقال : قدمي . . إلخ ، وأقرَت الأولياء في وقته له بذلك . وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق فيها كثيَراً من أهل زمانه ، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح ، وسمت بهيّ ، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولاً إلى ملك الرّوم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به ، وجمع له القسّيسين والعلماء بالنصرانيّة فناظرهم وأفحمهم وعجزوا ، فعظم عند الملك فزادت فِتْنته ، فتراءت له بنت الملك ، فأعجبته وفتن بها ، فسأله أن يزوِّجها له ، فقال : إلاَّ إن تنصَّر ، فتنصَّر وتزوَّجها ، ثمَّ مرض ، فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب ، وعلته كآبة وسواد ، حتى مرَّ عليه من يعرفه فقال له : ما هذا ؟ ! قال : فتنة حلَّت بي سببها ما ترى ، قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ، قال : لا ، إلاّ قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : ثمّ خرجت عليه يوماً فرأيته كأنّه قد حرق وهو في النّزع ، فقلَّبته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فعدت فعاد ، وهكذا إلى أن خرجت روحه ووجهه

إلى الشرق . وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنّه أصيب بسببه . قال ابن أبي عصرون : وأمَّا أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد ، وأكرهني على ولاية الأوقاف ، فولّيتها ، وأقبلت عليّ الدنيا إقبالاً كثيراً . فقد صدق قول الغوث فينا كلّنا .

وفي هذه الحكاية التي كادت أن تتواتر في المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر وآكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا ؛ من تلك الفتنة المهلكة التي لا أقبح منها ولا أعظم منها . نعوذ بالله من ذلك ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ، ومن كلّ فتنة ومحنة بمنّه وكرمه . وفيها أيضاً حثٌّ على اعتقادهم ، والأدب معهم ، وحسن الظنّ بهم ما أمكن . انتهى كلام ابن حجر عينه في صحيفة ٢٣١ .

وفي « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » قال الأكابر : **إذا حان زمان قطع رأس البقرة فأرسلوها في مزرعة هذه الطائفة ، وإذا آن أوان إحراق السلم فضعوه على جدران هذه الطائفة ، وإذا أردتم صرع أحد فألقوه إلى هذه الطائفة ، يعني : أوقعوه في طعنهم وملامتهم . عياذاً بالله من ذلك** . انتهى عبارته . وفيه في موضع آخر : إنَّ حفظ خواطر الأولياء ، وامتثال أوامرهم ، والانقياد إلى إشاراتهم واجب على جميع الطالبين الصادقين ، وتقديم أمرهم على جميع المرادات والمقاصد من أهمّ المهمّات وألزم اللوازم .

قال مولانا عبد العزيز البخاريّ - عليه الرحمة - وكان من أصحاب حضرة الخواجه قدس سره : ينبغي لطالب صحبة الخواجه وصحبة أصحابه أن يحافظ على ثلاثة آداب :

الأوّل : أنّه إذا صدر منه عمل مقبول عندهم ينبغي له أن لا يرفع رأس الأنانيَّة وأن لا يرى عمله ، بل ينبغي أن يتَّصف بصفة الانعدام والتواضع والانكسار أضعاف ما كان قبل ذلك بألف مرّة ، وأن يطالب نفسه بالزيادة والاجتهاد في العمل وترك الأمل .

الثاني : أنّه إذا صدر منه عمل موجب للردّ عنهم ينبغي أن يكون مأيوساً ، وأن يحفظ نفسه في قبضة تصرّفه حفظاً بليغاً لئلاَّ يتردَّد ولا يذهب إلى طرف آخر .

والثالث : أنهم إذا أمروا بشيء ينبغي له أن يبادر إليه ، وأن يقوم بكمال النشاط والفرح ليبلغ مقصوده ، وإلاَّ فيبقى بلا حظٍّ ولا نصيب من بركاتهم . انتهى عبارته .

وقال **ابن حجر** في « خاتمة الفتاوى » : ولقد شاع وذاع أنَّ من أنكر على هذه الطائفة لا ينفع الله بعلمه ، ويبتلى بأفحش الأمراض وأقبحها ، ولقد جرّبنا ذلك في كثير من المنكرين . انتهى . وقال فيه بعيد هذا : **فإن قلت** : من المنكرين من نفع الله بعلمه ؟ ! **قلت** : المنكرون على قسمين : **قسم منهم** : لم يقصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين ، بل محض تعصُّب ، ورأوا ذلك ، وغلب عليهم نوع من الحسد ، وحبّ إبداء خلاف أهل العصر قصداً لتميُّزهم عليهم بالأشياء العزيمة ، والاشتهار عنهم أنّهم ينكرون المنكر ولا يخافون أحداً ، ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة التي لم يصحبها نوع إخلاص . . إلخ . **والقسم الثاني** : قوم قصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين وذبّ هؤلاء الجهلة المتصوّفة . انتهى باختصار على المراد .

أقول : وأنا في إنكار الأصناف المذكورين في كتابنا « الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » من هذا القسم الثاني لا من القسم الأوّل ، فالحمد

لله ربّ العالمين . **فإن قيل** : إنَّ منهم علماء أتقياء قوّامون بالليل ، صوّامون بالنهار ، فيجب عليك عدم الإنكار على من صدر منهم تلك العبادات والمجاهدات ؟ !

قلت : إنّي لا أنكرهم إلاّ من جهة أنّهم ادَّعوا على مقام المشيخة ، وأنهم ابتدعوا في أذكار الطريقة السالمة من البدع ، ولا أظنّ فيما سوى ذلك في حقِّهم إلاّ خيراً ، ولا أعتقد فيهم إلاَّ أنَّهم أولياء الله الأبرار ، كيف لا ؟ ! وفي الحديث القدسيّ : « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » . وقيل : لا تجتمع ثلاثة إلاّ وفيهم وليٌّ لله . وفي « شرح الحكم » : معرفة الوليّ أصعب من معرفة الله . انتهى .

فتبيَّن ممَّا ذكر أنَّ مرادي من نفي إثباتِ قدمهم في التصوُّف أنهم ليسوا من أهل التربية والاقتداء ، وجعلهم في حيّز المجاذيب الذين يُعتقدون بهم ولا يؤخذ عنهم ، ولا يعدّون من أصحاب المراتب والتصرُّف ، فتأمَّل ذلك فإنّه مهمٌّ ، وإيّاك أن تفهم أنّي أنكر على أحوالهم الباطنة وولايتهم الجائزة ، فإنّ الأمر ليس كذلك . ولا يخفى أنَّ المجاذيب لا يتأهَّلون للمشيخة ، كما علم ذلك من موضعه ، مع أنَّ فيهم من دسُّوا البدعات في تلك الطريقات برأيهم ، بزعم أنّهم في ذلك صائبون . فإذا صار كلامنا في حقّهم موافقاً لحديث « من أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له في الله ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله تعالى في الجنّة مائة درجة ، ومن سلَّم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسرُّه فقد استخفَّ بما أنزل الله على محمّد ﷺ » . أورده ابن حجر في « الفتاوى » ، وقال فيه : إنّ البدعة الشرعيّة ضلالة . انتهى عبارته .

فلنشرع الآن في تبيين ما عليه الطائفة النقشبنديّة من الأذكار التي يلقّنونها في طريقتهم من غير تحريف عمّا وصل إليهم من منبع الطرائق

محمّد عليه الصلاة والسلام بسند صحيح ، جعلنا الله تعالى في زمرة أوْلئك الأئمّة آمين .

اعلم أنَّ الذكر في طريقة النقشبنديّة على نوعين : اسم الذّات ، وذكر النفي والإثبات . **فذكر اسم الذات** هو الاشتغال بذكر لفظة الجلالة (الله) من اللطائف السبعة على الترتيب المعهود عندهم : **فأوّلها لطيفة القلب** ، وهي : لطيفة ربَّانيَّة مودعة في الجانب الأيسر مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين . وكيفيَّة الاشتغال بالذكر منها أن يخلي القلب عن الخواطر وحديث النفس ، بل عن جميع ما سوى الله تعالى بقدر الإمكان بعد تقديم الرّابطة ، ويقول بلسان الخيال من هذا المحلّ (**الله الله**) ملاحظاً مفهومه ؛ بأنّه ذات موصوفة بجميع صفات الكمال ، ومنزَّهة عن سَمْت النقصان والزّوال ، كما آمنّا به وصدَّقناه من غير أن يتصوَّر صورة قلبه وبلا حبس نفَسِه ، بل يترك نفَسَه على حاله ، ولا يلاحظ صفة من صفاته سبحانه وتعالى ؛ لئلاَّ ينزل عن ذروة الذات إلى وادي الصفات ، فإنّ مطمح نظر هذه الطائفة العليّة هو أحديّة الذات دون الأسماء والصفات ، بخلاف سائر الطرق . ولا يحرّك رأسه وسائر أعضائه باختياره . ولا بدَّ من توجُّه السالك إلى قلبه بكليَّته ، وبقلبه إلى الله تعالى في جميع أنواع الذكر ، فإنَّ حصول النسبة بدون هذين الأمرين محال . ويقال لهذا : **الوقوف القلبيّ** . ويداوم على الذكر على هذا الوجه إلى أن يجري لطيفة قلبه بالذكر ، بمعنى أنّه متى توجَّه إلى قلبه يجده ناطقاً بالذكر وحاضراً بالله ، لا أنّه تحصل الحركة ، فإنَّ ذلك ليس بلازم ولا مستحيل الحصول ، والعمدة في كلِّ الأذكار هي الوقوف القلبيُّ . **وتعيين العدد ليس بشرط ، فإنَّ ذلك لم يرد عن المتقدّمين ، بل اللازم استغراق الأوقات بالذكر ، والمداومة عليه آناء الليل وآناء النهار** . ولكن لما رأى مشائخنا المتأخّرون تقاعد الهمم ، وتكاسل المريدين عن المداومة تداركوا

ذلك بتعيين العدد ، واختلفوا في مقداره ؛ فمنهم : من كلّف بالكثير من غير فرق بين مستعدٍّ وغيره ، ومنهم : من تمسّك بقوله عليه الصلاة والسلام « لَنْ يُنْجِيَ أحداً مِنْكم عَمَلُهُ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا واغْدُوا ورُوحُوا ، وشيء مِن الدُلْجَةِ ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا » ، وقوله عليه السلام « سدِّدُوا وقاربوا ، واعلموا أن لنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجنَّةَ ، وأنَّ أحبَّ الأعْمال إلى الله أَدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ » . وهذا اختيار مشائخنا قدس الله أسرارهم ، فإنهم كانوا يعاملون مع كلِّ واحد من الطالبين على حسب استعدادهم ، ولكن لا ينبغي أن ينقص من خمسة آلاف في الملويّن .

مهم

وينبغي أن يزيد شيئاً فشيئاً بالتدريج ، **وذلك مع مصاحبة حضور القلب ، وبدونها لا فائدة للذكر معتدٌّ بها غيرُ ثواب الآخرة وهو نصيب الأبرار .**

ونظر هذه الطائفة ليس في غير الحق سبحانه ورضائه ، **ورجاء الثواب عندهم يُعَدُّ من الذنوب** ، ولهذا قيل : **حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين** . ويقول بين كلّ مائة وعند طُروّ الغفلة : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . وَلْيَكْثُرْ من قوله ، لأنَّ له خاصيَّة في نفي المقاصد والمطالب سوى ذاته تعالى . فإذا حصل للقلب نسبة الحضور مع الله ، وجرى بالذكر كما مرّ فليشتغل من لطيفة الروح على هذا المنوال بأمر شيخه وتلقينه . ولا يسأل ذلك[1] من شيخه ، بل ينتظر أمره فإنّه أعلم بحاله ، وهي : لطيفة مودعة في الجانب الأيمن مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين ، وهي في مقابلة لطيفة القلب . ثم بعد تمام أمرها يشتغل

---

(١) أي : تبديل ذكره (منه) .

من لطيفة السرّ على المنوال السابق بأمر شيخه ، وهي لطيفة مودعة في جنب الثدي الأيسر مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة أصبعين ، ثم يشتغل من **لطيفة الخفي** وهي : لطيفة مودعةٌ في جنب الثدي الأيمن مائلة منه إلى وسط الصدر كذلك بفاصلة أصبعين ، ثم من **لطيفة الأخفى** ، وهي : لطيفة مودعة في وسط الصدر . ثم من **لطيفة النفس** وهي : لطيفة مودعة في وسط الجبهة ، ثم من **لطيفة القالَب** ، ومحلها تمام البدن حتى يجري الذكر من كل منبت شعرة ، ويقال له : سلطان الأذكار . فحينئذ يعم الذكر على جميع بدن الإنسان ، بأن يسمع ويرى أنَّ جميع بَدَنه يذكر لفظة (الله الله) ، وعلى جميع الموجودات من الحجر والشجر والمدر وغير ذلك ، فلا يراه إلاّ ذاكراً بلفظة الجلالة . وهذه اللطائف من عالم الأمر ، ولها أصل فوق العرش متعلّق باللاَّمَكَانْ ، وحصل لتلك اللطائف نسيان وذهول عن أصولها بسبب العلائق الجسمانية ، والعوائق الدنياويّة ، والحظوظات النفسانية ، فاحتيج لتذكير أصولها إلى شيخ كامل مكمَّل ، وذكرٍ كثيرٍ حتى يحصل لها ميل إلى أصولها ، وتنجذب بالجذبات الإلهيَّة فتصل إلى أصولها ، ثمّ وثمّ إلى أن تصل إلى الذات البَحْتِ من غير احتجاب بالصفات والشؤونات ، ويقال له : التجليات الذاتية ، فيحصل لها الفناء الأتم والبقاء الأكمل ، وأما قبل وصولها إلى أصولها لا تحصل لها الفناء . وهذا علَّة تلقين الذكر لهذه اللطائف المذكورات ، فافهم فإنّه نفيس . أُخذ ذلك من « النفائس السانحات » .

ثم بعد عموم الذكر على جميع الإنسان والآفاق يتلقَّن الذكر من الشيخ الكامل بالنفي والإثبات بكلمة (لا إله إلاّ الله) . وكيفيّته أن يلتصق اللسان بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة كما في اسم الذات ، وينحبس النَفَس تحت السرة ، ويتخيَّل منه كلمة (لا) ، بحيث يكون كرسيُّها على السرَّة ، ويمدُّ طرفيْها إلى منتهى

الدماغ ، ومنه يتخيل (إله) إلى الكتف الأيمن ، ومنه يتخيَّل (إلاّ الله) إلى رأس القلب وإلى قعره مع الضرب الشديد بالنفس الدائر في الجوف ، فتحيط هذه التخيّلات على محال اللطائف كلّها بصورة (لا) المعكوسة ، بحيث يكون أحد طرفيها في السرّة ، وطرفُها الآخر في القلب ، وكرسيُّها بين الدماغ وبين الكتف ، ويلاحظ مع هذه التخيُّلات معناها على وفق ما أمره شيخه بها من معانيها ، وهي : لا معبودَ إلاّ الله للمبتدئ ، ولا مقصود إلاّ الله للمتوسط ، ولا موجود إلاّ الله للمنتهي ، وفي آخر النَّفَسِ محمد رسول الله من الروح إلى القلب على ما اختاره الشيخ محمود الفعال ، وإلا ففيه خلاف ذكر ذلك في « تبصرة المرشدين » . ويريد التقيّد بالاتباع به عليه السلام ، ويكررها على قدرة قوة النفس ، ويطلقه من الفمّ على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي ، ثم يقول : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، فإذا استراح يشرع بنفس آخر ، لكن يراعي بين النفسين ؛ بأن لا يغفل ، بل يبقى التخيُّل على حاله ؛ لئلا يختلَّ الاستمرار . فإن انتهى العدد إلى إحدى وعشرين تظهر النتيجة ، وهي نسبتهم المعهودة من الذهول والاستهلاك ، وإن لم تظهر فبما وقع من الخلاف في الآداب ، فليستأنف وليطابق الفعل والقول مضمون الذكر عملاً واعتقاداً واتباعاً ، فإنَّ المقصوديَّة فيما سواه إذا كانت باقية أو خلاف الاتباع في شيء كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب فليس بصادق . ولا حصر للعدد ، فمن يستعدُّ لتقدُّم الجذبة فله الذكر الأول ، ومن يستعد لتقدُّم السلوك فله الذكر الثاني ، وكلاهما بالقلب . فإذا جاهد فيه حق الجهاد وانتفى المنفيّ وثبت المثبت وظهرت النتيجة تصح له المراقبة حينئذ . انتهى .

نقلت هذه المذكورات من كتب النقشبندية وليس في كتبهم ما يخالف ما ذكرنا ؛ ولو في كتاب واحد ، بيد أنّ بعضاً منهم يلقّن اسم الذات أولاً ، بلا فرق بين مستعدٌّ وبين غيره . ولكلٍّ وِجهةٌ هو مُولِّيها ، كما هو مذكور في كتبهم .

وشروط النفي والإثبات تسعة[1] :

١ - حبس النفس . ٢ - ذكر (لا إله إلا الله) . ٣ - ملاحظة النقش . ٤ - ملاحظة المعنى . ٥ - الضرب . ٦ - وقوف القلب مع جميعه . ٧ - الوقوف العددي ، بأنْ يكون وتراً . ٨ - ذكر (محمد رسول الله ﷺ) آخراً . ٩ - الرجوع إلى الله تعالى بأن يقول : **اللهم**[2] **أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . انتهى من « البهجة » عبارته .

وفيه قال العروة الوثقى رضي الله تعالى عنه مجيباً لمن سأله : إن الذكر مع حبس التنفس بدعة حسنة ، فعلى مسلك المجدّد رضي الله تعالى عنه ليس في بدعة حسن ، فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة ؟ الذكرُ في حدِّ ذاته حسن ومسنون ، أما الحبس فيه فيتوقف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأوَّل ، وذلك ممنوع ، وأيضاً الحبس في الذكر علّمه الخضر عليه السلام للخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، ولا يحكم على عمله بالبدعة .

وفي ملفوظات الخواجه عبد الباقي قدس سره : إنَّ الخرقة في سلسلة الچشتية والسهرورديّة معنعنة عن رسول الله ، ولم يبيِّن الذكر المعنعن عنه ﷺ ، ولم يتحقق بخلاف طريقتنا ، فإن الذكر معنعنٌ خال عن الانقطاع في الوسائط من الصديق الأكبر والحيدر الأبهر رضي الله تعالى عنهما إلى يومنا هذا .

فسأله سائل ممن حضر مجلسه : ما تقول أيها الشيخ فيمن يذكر في السلسلة النقشبندية ، وصلة الرابطة عن الصديق الأكبر ، والذكر عن علي رضي الله عنهما ؟ قال : الذكر المسمّى بالوقوف العدديّ الذي يعهد فيه

---

(١) ويأتي بيانها .

(٢) هكذا في النسخة التي بيدنا .

الحبس مع ضمِّ محمد رسول الله ﷺ إليه تعنعن عن الصديق الأكبر ﷺ، وكذا طريق الصحبة . انتهى .

وقال أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » ما حاصله : إنّ المراد من الشيء الذي في قوله عليه السلام « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ، وإنما هو بشيء وقر في قلبه » هو الذكر الذي قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ . راجعه عبارته .

وفي « معرّب الرشحات » في معنى الآية : إن المراد : كن متوجهاً إلى الذات دون الصفات . راجعه من الفصل الأوّل من ترجمة عبيد الله .

وقال الخاني قدس سره في « البهجة السنية » : ومن تتبع أحاديث رسول الله ﷺ ، وعرف أخباره وأحواله ، وعلم أقواله وأفعاله تبيَّن له أنَّ هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البعثة ، وبعث أمَّته على هذه الحالة ، وتبعه أكابر الصحابة رضي الله عنهم ، دون ما ابتدعه المبتدعة ؛ ولو كان بعضها مستحسنة في الجملة . انتهى عبارته . وقال فيها إنّها أمّ الطرائق .

وقال أحمد ضياء الدين في « المتممات » : إنها سلطان الطرق ، وأثنى عليها[1] ابن حجر الهيتمي المكي بأنها هي السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، ومن أراد التفصيل في تفضيل تلك الطريقة فليراجع « البهجة » و « المتممات » ، وفي رسالتنا « الدرة البيضاء » زيادة بسط بهذا المهمّ .

فعلم من هذه المذكورات حقيَّة تلك الطريقة ، وكونُ أذكارها مقتبسة من مشكاة النبوة بواسطة الصديق الأكبر ، وتحقَّق بل تيقَّن كونها باقية على أصلها ، وسالمة من أوساخ البدعة . ولا يخفى أن من غيَّرها برأيه فهو حادٌّ لله ولرسوله ، فالعياذ بالله إنه هو البرُّ الرحيم .

---

(١) أي : الطريقة النقشبندية (منه) .

المراقبات

وأما المراقبات التي يستعملونها فيها ؛ فأولها : المراقبة الأحدية . وثانيها : المراقبة المعيّة ، ويراقبون في هذه المراقبة بخمس مراقبات على عدد اللطائف الخمسة ؛ القلب ، والروح ، والسرّ ، والخفيّ ، والأخفى ، بحسب المشارب الآدميّة ، والإبراهيميّة ، والموسويّة ، والعيسويّة ، والمحمديّة . ثم بعد ذلك يراقبون بالمراقبة الأقربيّة وهي مقام الولاية الكبرى ، وفوق ذلك مراقبات ، فصَّلها الإمام الرباني وأخرجها من الإجمال . وكلها مذكورة في « تبصرة المرشدين » و« النفائس السانحات » ؛

اللهم لا تحرمنا من بركات مَنْ ذاقها ، وأذقْنا بمنِّك وكرمك برداً من شرابها ، وخلِّصْنا وجميع المسلمين من الحقد والحسد بين إخوان الدين والتوفيق والاستقامة ، واغفر لنا ولجميع من ذكرناهم واهدنا وإياهم إلى صراطك المستقيم ، وارزق لأساتيذنا العفو والعافية في الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين ، آمين اللهم آمين .

فلقد حان أن نشرع الآن في مقصود الكتاب ، وآل الأمر إلى إظهار ما عندنا من إرادة حقيّة ما كنا كتبناه في رسالتنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » .

فنقول – وبالله التوفيق – :

قال العالم الحاج فلان ولد فلان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، الحمد لله الذي أنزل على عبده الحق ، وأبان وأظهر على يديه الهمم العالية ، وأعان لبعض خواصّه لإزالة الشبه والبدع ، وأزاح عن الأمّة الغمّة بكشف الحق ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أقول ، والله أعلم : هذا الحمد من هذا العبد – هداه إلى الصدق والصواب – واقع على غير موضعه ؛ لأن مفهوم عباراته أن إظهار الحق وإزالة الشبه والبدع وغيرها إنما هو على يديه ، وإنَّ ما كتبه على رسالتنا الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » إنما كتبه لإظهار الحق وإزالة البدع مع أنه ليس كذلك ؛ لأنّه قصَد بذلك إخفاءَ الظاهر الحقِّ بكلمات ليس لها نقل ، بل تكلَّم بعبارات تشبه الأحاجيب ، لمجرَّد الاعتراض على من أخبر الحقَّ وأراد تبيين ما أسَّس الصديق الأكبر ﷺ من هذه الطريقة النقشبندية العلية التي أقرّ بفضلها وأقربيّتها علماء الأمة من الأئمة الأربعة محضاً لمجرد وجه الله لا لغرض نفسانية أو عوض ديناوي ، وحسبي الله على ذلك شاهداً ، فبسببه صار ذلك العالم المشرّح عندنا ممن حادّ الله ورسوله ، فكان اللائق عليه أن لا يأتي في هذا الموضع بهذا الحمد ؛ لأنه بمقابلة النعمة ، وتحميده هذا صار بمقابلة المعصية من حيث لا يشعر ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك .

قال عفى الله عنه وجعله من المقرّبين : أما بعد ؛ فلما لقينا ممن أحسن فيه الظن ما يسوء به ، ولقيت من أهل السلامة الضلالةَ ، أردت إظهار الحق ليحق الحق وليبطل الباطل .

أقول – وبالله التوفيق –: ولو بقيتَ أيها الأخ المشرِّح على ما أنت عليه من حسن الظن فينا لكان خيراً لك ، ولو كنت توقفتَ في زمن قليل ، وطلبتَ رسالتَنا لتنظر إليها بتمامها لكان ذلك أنجى لك وأسلم ، بل لو صبرتَ ولم تصدِّق من حرَّف الكلم من موضعه حتى تلقاني لوجدتَ كلامنا في تلك الرسالة واقعاً في موقعه . قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ ﴾ ؛ أي : بخبر كذب ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ .

قال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » : وإن اشتبه ؛ يعنى : مراد المتكلم من كلامه فعليه الاستفسار ، لا العجلة وسوء الظن . انتهى عبارته .وقال تعالى ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ .

وفي الحديث « حسن الظن من حسن العبادة » ، فوقع كلامك يا أخي ، واعتراضك على مقالاتي من غير تثبُّتٍ وتحقُّق ، وسوء ظنِّك فينا في غير محلِّه .

وفي « لواقح الأنوار » للشعراني : **لو وضعت عبادة الشخص طول عمره في كفَّة ، وسوء الظنَّ بمسلم في كفة لرجح سؤء الظنّ** . انتهى عبارته .

وأما كلامنا فلعله يعدّ من البغض في الله الذي أمِرنا به ، كما مرَّ في هذه الرسالة .

وفي « البريقة » : إنَّ سوء الظنَّ إنما يمْنع عند عدم دليله وقرينته . انتهى عبارته . فقد وجدْنَا القرائن في حقِّهم وما وجدْتَهَا في حقِّنَا .

وأما نِسْبتكم إلينا الضلالة - والعياذ بالله - فليس ذلك بصواب لأنّي لم أقصد - والحمد لله ربّ العالمين - بتأليف ذلك الكتاب إلاَّ ردّ المسلمين عن الضلالة ، وتبيينهم ما هو الحقّ اليقين المتَّفق عليه من قواعد أهل الله . ولا يخفى على من اطلع في ذلك الكتاب من أوله إلى آخره أنّي لم أتكلَّم من قبل نفسي ، بل ببيان نُقُول العلماء في كلِّ ما قلته من ديباجته ، بَيْدَ أن **الإنسان مجبول على محبّة ما صدر منه ولو كان مكروهاً ، ومجّة ما صدر من غيره ولو كان محبوباً** . وكم من عائب قولاً صحيحاً ، وآفته من الفهم السقيم .

قال - **رزقه الله وإيانا الاستقامة** - : فمن أقواله الضالة (فلما وجدنا أهل هذه الطريقة النقشبندية العليّة وقعوا في هذه الديار الداغستانية غرباء) . يفهم من هذا القول أن الكاتب القائل به أزال عن الطريقة الغربة ،

وهو الآن لم يدخل في الطريقة لأنه في النفس الأمارة راسخٌ ؛ لأنّه لم يَرَ - ما في داغستان من الشريعة والطريقة والحقيقة بلا إنكار من العلماء الأعلام - بسبب الذي كان فيه من الكبر على الغير ، والعجب في نفسه ، والرياء والحسد لإخوان الدين ، والسمعة وحبّ الرياسة ، وغير ذلك مما يفهم من هذا وممّا بعدُ .

أقول : - والله وليّ التوفيق - : أيها الأخ لا نقدر إزالة الغربة عن هذه الطريقة مع وجود قطاعها ، وكثرة منكريها ، وقلّة من يعين لمن استقام على أصلها ووضعها ، فكيف ؟ ! وأمثالكم يقولون هكذا مع علمكم أن ليس الصواب إلاّ ما قرّرته ؛ من كون أذكارها موافقاً بما ورد عنه عليه السلام ، وأن ما يفعله أهل ديارنا محض ابتداع ومجرّد افتراء ، وكيف يطاق لإذهاب الغربة من طريقة وقف في وسطها القطاع ؟ !

وكيف يستطاع لإقامة اعوجاجها ومعوّجوها العلماء ؟ ! لا والله ، ولكنّ الغيرة الإلهيّة حملتني على إظهار الصواب من غيره ، وبذلك خرجت من المداهنة و ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ ، ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ، و﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ فستعلمون ما أقول لكم ، وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد .

ولقد بيّنت الخالص السالم من هذه الطريقة النقشبنديّة من المغشوش المكدَّر باختيار أهل البدعة ، ولكن عادة المعاند أن لا يروّج الخالص ، قال تعالى ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، ﴿ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ .

وفي تفسير سلمى في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ : قال أبو عثمان : إن الدين ما سلم لك من البدع والضلالة والأهواء ، وسلّمت فيه من الرياء والشهوة الخفيّة ورؤية الخلق وتعظيم الطاعات . انتهى عبارته .

فإذا صار العلماء كالصائلين في وسط طريق الله مع هذه الآيات فبأن أن الغربة في تلك الطريقة باقية لم تزل . إنا لله وإنا إليه راجعون . فما أعظم ما وقع في هذه الأمّة المحمدية في هذه الديار الجبليّة .

وقولكم – هداك الله – :(وهو الآن لم يدخل في الطريقة : لأنه في النفس الأمارة). يفهم منه أنه لا يجوز أن يدخل فيها من له نفس أمارة كما صرّحتّه فيما بعدُ .

اعلم أيها الأخ أنا مقرٌّ ومعترف بأني في قبض الأمارة القتالة التي هي الصنم الأكبر . فهل يجوز لمثلي أن يدّعي الخلاص منها مع أن الله تعالى قال حكاية عن نبيّه يوسف عليه السلام ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ . وقال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ . وأنا يا أخي منغمسٌ في جميع ما نسبتَ إليّ من تلك الذمائم ، ومع ذلك كانت مخفيّة . فبشدّة صفاء باطنك أدركتَها وأظهرتها ، – جزاك الله عنا خيراً وشكر سعيك – وأنا لا أطيق أن أكافىء من ينبّهني على نقائصي ولو خدمت له مدى الدهر ، ومن أجاب عن نفسه فقد هلك مع الهالكين ، ومن رضي عنها فقد خسر خسراناً مبيناً .

ولكنّ المقصود من تأليف ذلك الكتاب إظهار ما هو الصواب لمجرّد المصلحة لإخوان الدين ، لا للتعصّب والتفاخر عليهم ، فالحمد لله رب العالمين . وإن كان فيَّ يا أخي جميع ما نسبتَ إلي من تلك الذمائم . فلا أصدّق مفهوم قولك :(إنه لا يجوز أن يدخل في الطريقة من له أمارة) لأني لو كنت سالماً منها ومن أخلاقها الرديئة لما احتجت إلى اتخاذ الشيخ والدخول في الطريقة ؛ لأن الإرشاد إنما وضع للمعوج الضالّ لا للمستقيم الهادي . كما قال كذلك أحمد ضياء الدين في المتممات ، وكما قال صاحب روح البيان : **ويجب تعلّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد لمن ليس له قلب سليم** . وهكذا في ابن حجر و الرملي من كتاب السير وفتاوى ابن حجر .

والأذكار التي أوردها أئمة الطرق في طرقهم إنما وُضعَتْ لمجرّد إصلاح القلب المريض، وإماتة النفس الأمارة، ولا رجاء لإماتتها إلا بإصلاح القلب الذي هو كالمَلِكِ، ولا تَصْلُحُ الرعيّة إلا إذا صَلُحَ المَلِكُ، ولا ينجلي القلب بسائر العبادات إلا بإكثار الذكر. ومن شرطه كما قالوا: أن يُؤخَذَ من شيخ عارف مقبول؛ لأن غيره لا ينفع ولو كان يذكر الله ليلاً ونهاراً، كما هو مبسوط في كتب التصوف. فلهذا احتيج إلى اتخاذ الشيخ لحياة القلب، وأخذ الذكر عنه لعلاجه، فمتى لم يَسْلَمْ القلبُ من الأمراض فالإنسان في قيد الأمارة. وسلامته من أمراضه بالاستئصال متعذرة ولو في أعلى مقامات العرفان، فكيف وقد ورد في الحديث إذا سمعتم أنّ جبلاً انقلع عن مكانه فصدِّقوه، وإذا سمعتم أنّ جِبِلّة أحد زالت عنه فلا تصدّقوه، لكنّ الصفات الرذيلة تنكسر قوّتها بعد التصفية والتزكية. كذا في التفائس السانحات. فلزم أن ينزل الدواء؛ أي: الذكر إلى موضع الداء. فافهم فإنه مهم. وفي الشرقاوي أي: زوال العيوب النفسانيّة لا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كاملٍ ناصح. انتهى عبارته بالمعنى؛ يعنى: لأنّ الشيخ طبيب للأمراض المعنويّة، ولا يعرف كيفيّة تنزل الدواء على الداء وكيفية الاحتماء إلا الطبيب، فتدبَّره.

ومن ادّعى أنه خرج من الأمارة، فهو مغرور جاهل لم يذق من معرفة الله شيئاً؛ لأن معرفة النفس مقدّمة على معرفة الله كما في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، ومن عرف النفس وخسَّةَ أخلاقها لا يرى على وجه الأرض أحداً أشرَّ منه ولا أقبح.

قال ابن عطاء الله في الحكم: أصلُ كلّ معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس. وأصلُ كلّ طاعة ويقظة وعفّة عدمُ الرضا منك عنها. انتهى عبارته. وفي شرحه: لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه، ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها. وبقدر تَحقُّق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه. انتهى عبارته.

ومما أوصى به بهاء الدين محمد النقشبندي للسالك كما في البهجة هاتان الوصيتان ؛ وهما من أنفس الوصايا لمن تدبّر وتأمّل :

أولهما : أنه لو وصل إلى أيّ محلّ وصل ، لا يرى نفسه إلا في أوّل قدم من الطريق .

وثانيهما : أنه لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلا أقلّ من نفس فرعون مائة مرة . انتهى . فبان من هذه المذكورات عدم وضعي قدمي في الطريقة ، وأصاب هذا المحقّق ، ولزم أن أقول : ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ .

وسمعت شيخنا عبد الرحمن العسليّ قدس سره يقول : لا يتخلّص الإنسان من الرياء إلا في مقام يرى السالك أن لا محرِّك إلا الله . انتهى . وذلك عند التكمُّل في إبراهيمي المشرب ، والله أعلم .

فليتفقد العاقلُ نفسه ولو كان في الاطمئنان ، ولا يثقْ دسائسها ، فأنّى يحترز منها أمثالنا القائمون على متن الأنانيّة وحبّ الرياسة ، والله وليّ التوفيق . ولا يخرج من النفس بالنفس إلا [إن] حفّت علينا العناية الربانية . ومن ادعى أنه يرى ما في الداغستان من الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة ، فلعله لم يُصَلِّ طول عمره ولو صلاة واحدة جُمِع فيها تلك الأركان الأربعة .

فإن كنْتَ في شكٍّ مما قلناه واستغربته ، فاقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية ، فلعلّه لم يصلِّ هذه الصلاة مدة عمره قط ، فنعوذ بالله من الدعوى والشكوى ، آمين .

---

(١) لعلّه : ولا يخرج أحدنا من النفس بالنفس إلا إن حفّت علينا . . .

قال غفر الله ذنبه : وقوله : (بواسطة شيوخ البدعة) . ومن هذه الشيوخ التي أراده الكاتب أبو الكوثر الحاج عبد الرحمن الثغوري ﷺ ، وهو كما قاله شيخنا وأستاذنا الحاج موسى الغازي الغموقي سماعاً أنه ﷺ كان يربّي المشائخ في المغارب والمشارق ويُصلح العامة في كل بلاد المسلمين ، وكان تربيته وإصلاحه تارة بالهمَّة والتوجُّه وتارة بالدعاء والتضرُّع .

أقول – والله أعلم – : ليس في كتابنا هذه العبارة كما كتب هنا ، بل الذي فيه هكذا : بواسطة شيوع البدعة – بالعيْن المهملة لا بالخاء المعجمة ، وليس مرادنا ممن ذكرناهم في ذلك الكتاب الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري – قدس سره ورزقنا فيْضه – فالعياذ بالله من أن أقول في حقِّه ما هو عنه بريء ، بل مرادي من الأصناف المذكورين فيه المتشيخون بالدعوى ، المتصدّرون للإرشاد بأنفسهم ، المغيّرون لأصول هذه الطريقة الخالديّة النقشبنديّة ، ولم يغيِّر الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري شيئاً من ذلك ، وإنما غيَّره مَنْ بَعْدَهُ .

قال – عطَّر الله روحه – : وقال مرة : قصدت الذَهاب إلى حضرة محمود الفعال ، واستخار فرأى مكاناً واسعاً خضِراً قد ملأ بالزهر فاتحاً (١) ، فجاء محمودُ الفِعال فأراه طريقاً ، ثم أيقظ وبعد ذلك استخار في تلك الليلة في طلب حقيقة شيخنا العارف بالله الحاج عبد الرحمن الثغوري ﷺ فرأى ذلك المكان الواسع الخضر ، ومشى ووصل إلى حضيض جبلٍ عالٍ ، كبيرٍ أسفلُه ، رفيعٍ ذِروتُه ، فمشى فيه فوجد خلفه إذا نظر العارفُ بالله تعالى شيخه الحاج عبد الرحمن الثغوري ﷺ ، فمشى إلى ذروته وكان هو ﷺ خلفه يَسوقه ، ثم قلّ أثر الطريق وانتفى فنظر خلفه فلم يجده ، ثم ندم على ما وقع في نفسه فتاب .

أقول – والله أعلم – : إنَّ ما يفهم من إيراد هذه الواقعة هنا : أن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره أعلى مقاماً من القطب

---

(١) لعلّه : فاغماً .

الأعظم والغوث الأفخم محمود أفندي الألمالي الأشترخاني قدس سره ، وليس لأحد أن يثق الوقائع والكشوفات فإنها قد تتلوَّن وتخطأ ، وأكثرُها شيطانيَّة كما في « المتممات » .

وفي « روح البيان » من سورة النحل : إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة ، وعوام الناس يعَدُّون أصحاب أمثال هذه الكشوفات الأقطابَ ؛ لكونهم على الجهل لا يميّزون بين الحقِّ والباطل . انتهى عبارته . وهكذا في مكتوبات محمودِ الفِعال كريم الخِصال ، قدس سره ؛ ولذلك فاللائق أن لا نتكلَّم في حقّ أمثال هذين العَارفين الأمجدين ؛ لأنهم عرائس الله ، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في عرائس الله بما لم يتحقَّقْ ، بل السلامة أن لا نذكرهم بمثل هذه الوقائع ؛ لأنها تُشعر بأفضليَّة أحدهما ، وتنبىء انحطاط مرتبة الآخر . فافهمه ، ولاحظه فيما سواهما فإنه مهمٌّ عند من ليس في قلبه وهم .

قال - رزقه الله التوفيق ، وهداه إلى أحسن الطريق - : قوله (فمن ذلك اخترع أبعاض أهالي هذه السلسة بواسطة قصور نظرهم بدعات) . ومراده من هذا البعض شيخنا العارف بالله تعالى أبو مريم الثغوري ﷺ .

أقول - والله أعلم - : فما أعظمَ ما اجترأتم إلى ارتكاب هذا القول مع أنكم لستم تعلمون الغيب ، فمِنْ أين تيقَّنْتَ يا أخي كون مرادي من ذلك البعض ذلك العارف المحقِّق ، والعالم المدقِّق الحاج عبد الرحمن الثغوري ؟ قدِّس سره وحشَرنا معه آمين . فنعوذ بالله ، فنعوذ بالله ، فنعوذ بالله من إساءة الأدب مع هذا الشيخ ، ولا أعلم أيَّ شيء حملكم إلى هذا القول ، ولا نرى ذلك إلا أنكم قصدتم بذلك عدم ترويج كلامي ، وأردتم تزوير مقالي بهذه الأقوال ، والله أعلم . والمرجوُّ منه العفو عمّن نسب إليَّ ما أنا عنه بريء ، وأن لا يؤاخذ أحداً من أمَّة محمد ﷺ بسبب أنه هو العفوُّ الكريم ، بل مرادي من جميع من ذكرناهم في رسالتنا مَنْ غيَّروا

أذكار هذه الطريقة بأذكار اختاروها ودعوات أرادوها ممّا لم نسمعها في أوراد وأذكار الطرق ولو في واحدة منها . ثم إذا قيل لهم : إلى أيّ طريقة انتسبتم ؟ قالوا : إلى طريقة النقشبنديين . فليتدبره المُنْصِف ، هل هذا إلا الاختراع والابتداع ؟ ! وليطلع إلى كتبهم . وفي ديارنا الداغستانية من كتبهم أكثر من ثلثين كتاباً . فلو كان ناسخ مقالاتي من كتابي نَسَخَ جميعَه بتمام لعلَّك تجدْ فيه ما يشفي القلب العليل ، ويظهر الحَقُّ من الباطل . فلستُ تكلَّمتَ في ذلك الكتاب من قبل نفسي ، بل بنقل صريح من كتب أهل الطرائق . فقد خان هذا الناسخ - والله - وأراد الغوغاء بين إخوان الدين - تالله - .

قال رحمه الله : وبيان[1] ؛ أن هذا الشيخ ذهب لأخذ الورد إلى الشيخ جمال الدين ﷺ بعد كمال علمه وفقهه ، فوقع له الجذبة الإلهيّة ثلاثة أيام بلا إفاق ، ثم أعطى له الورد ؛ من خمسة آلاف تهليل ، فوقع بدايةُ هذا الشيخ الثغوري نهايةَ الشيخ جمال الدين ﷺ ؛ لأنه كان مجذوباً منيباً إلى ربّه أوّاهاً من حين الطفل ، فإذا سلك بهذا الشيخ الذي وقع له الجذبة بعد السلوك صار بدايتُه نهايتَه ، وبقي هناك ستة أيام أو سبعة أيام ، وبعد ذلك رجع إلى بيته وأقام هناك متعبداً ، فحصل له الجذبة القيوميّة الاتباعيّة الدائمة ، ثم أرسل إلى شيخ شيخه المبارك محمد أفندي اليراغي ﷺ رسالة في طلب بيان ما هو عليه من الحقيقة ، فجاء منه البشارة التامّة مشعراً بأنه الكامل المكمَّل المرشد من الأفراد ، وأنه قد اقتفى بنبيّه المصطفى ﷺ ، وأنه لا يجب اتباع شيخ آخر . ثم أَعْلَمَ أن مبنى طريقة هذا الشيخ على نيّة الاتّباع الدائميّ بمثل نيّة الصحابة رضي الله عنهم ، فلهذا صار قوله (بواسطة قصور نظَرهم بدعاتٍ) راجعاً على قائله كما قال : « المؤمن مرآة المؤمن » . فإنه رأى في نفس المؤمن ما هو كائن في نفسه .

---

١) لعلّه : وبيانه : أنّ . . .

أقول - والله أعلم - : إن حصول المقصود ووقوع الجذبة الإلهيّة جائز للمستعدّين ، وموقوف على التفاوت[1] مرشد كامل ، ومربوط به ، لكن كلّ شيء من غير سعي واهتمام لا يكون له بقاء ودوام ، كذا يؤخذ من « الباقيات الصالحات » راجعه من ترجمة علاء الدين الغجدواني قدس سره .

وفيه في موضع آخر : كان الخواجه حسن صاحب جذبة قويَّة ، وكان يتصرَّف بصفة الجذبة أيَّ وقت شاء ، ويوصل من يتصرَّف فيه من مقام الحضور والشعور بهذا العالم إلى كيفية الغيبة وعدم الشعور ، ويُذيقه ذوق الغيبة والفناء . انتهى عبارته .

وهكذا وقع لواحد من مريدي الحاج قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، كان ذلك المريد صاحب رياضات ومجاهدات ، صوَّاماً بالنهار قوَّاماً بالليل ، ذا ذكر كثير ، فدخل في عهد الشيخ العسليّ قدس سره ، فحصل له الفناء التام والغيبة الكليَّة ، وكان يغيب عن إحساسه بعد صلاة الصبح إلى وقت العشاء الأخيرة ، ثم إذا أفاق يقضي الصلوات التي فاتت في ذلك ، وصارت عادته هكذا في زمان ، فأنكر شيخَهُ العسليّ قائلاً : إني صرت فوقك في المقام . وظنَّ ذلك الأحمقُ أنْ ليس فوقه مقام ، وأنَّ ما حصل له من الفناء منتهى المقامات ، ولم يدر أنَّ ذلك من جهة تصرُّف الشيخ العسلي قدس سره ؛ فبذلك سقط ذلك المريد من مقامه ، وتنزَّل إلى حضيض حظِّه ، فنعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[2] ، ورؤية النفس والإعجاب بالعمل . انتهى .

وأما قولكم : ثم أعطى له الورد ؛ من خمسة الآف تهليل مشكل جدّاً لا يوافق بما في كتب النقشبنديّة ، بل هو يعارض بما في « الآداب

---

(١) علَّه : التعاون ، أو التفات من مرشد .

(٢) يعني بذلك : من الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان (تفسير الطبري) .

المرضية لجمال الدين قدس سره ؛ لأنَّ صاحب الجذبة يلقِّن له الشيخ أوّلاً اسم الذات ، لا النفي والإثبات ؛ لأنه مناسب لصاحب الجذبة ؛ لأنّ قلبه خال عن الأغيار وعن التعلُّقات إلى الأكوان ، فلا يحتاج إلى نفي تلك الأغيار ونفي تلك التعلُّقات ، بل إنما يحتاج إلى ظهور حقيقة جذبة المحبَّة الذاتيَّة ، فهذا يحصل باشتغاله باسم الذات من غير احتياج إلى النفي والإثبات . كذا في « التحفة » و« البهجة » وغيرهما من كتب النقشبندية . فتدبّره .

وأما إعطاء الإجازة ، والبشارة بأن الشيخ الثغوري بأنه الكامل المكمَّل فهو جائز ، بل هو حقٌّ مصدَّق ، إن شاء الله تعالى ، ويوافقه كلام خليفته الشيخ إلياس الزدقاري في « سلّم المريد » كما يأتي ، وأنه يجوز أن يكون فانياً في رسول الله ﷺ ، وبعد الفناء فيه ترتفع الوسائط من البين ، ويكون السالك محفوظاً من الزيغ ، وآمناً من الميل إلى اتباع الشيطان والنفس ، ويصير محبوساً في دائرة الامتثال وحيطان الاتباع .

فإذا كان حال هذا الشيخ هكذا ، وحكَمتم بأنَّ مبنى طريقته على الاتباع الدائميّ ، فما ذا تقولون فيمن ينتسبون إليه ، ويقولون : إنَّ تلقين الذكر الخفي حرام ، فهل هذا اتباع واقتداء ؟ ! لا والله ، بل هو اختراع وافتراء .

وقد ظهر مما مرّ في المقدمة أنَّ هذه الطريقة النقشبندية هي الباقية على ما ورد ، وأهل هذا الزمان غيّروها وحرَّفوها عن وضعها ، وافتروا على هذا الشيخ المحقِّق أنه أسَّس فيها ما رآهُ خيراً ، وقالوا : مجدّد[1] في الطريقة ، وله أن يُؤسّس فيها ما أراد ، حاشا ذلك وكلا ! ! ولقد كان في تلك الطريقة مجدِّدون وأئمة مجتهدون فما غيّروها ، بل تركوها على أصلها سالمة من

(١) أي : هو مجدّد .

الانحراف خالصة من الابتداع ، وهذا الشيخ لم يغيِّرها ، بل المنتسبون إليه حرّفوها من بعده ، وسيأتي إن شاء الله تعالى كيفيةُ تلقين الثغوري .

وأما قولكم - هداكم الله - : فلهذا صار قوله (بواسطة قصور نظرهم بدعات) راجعاً على قائله فليس واقعاً في موقعه ؛ لأنكم أيها الأخ تعلمون أن ليس في ما نفعل في تلك الطريقة إلا موافقاً ومطابقاً على ما وصل إلينا بواسطة أشياخنا [قدس الله أسرارهم] ، مذ زمن مؤسّسها الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، فإن كنتم أدركتم بصفاء بصائركم على ما فينا ؛ من دخول البدعة في تلك الطريقة ، فأظهروها لنا لنتْرُكَه ، ونقتفي على من تبع السنة ، ونحن أيها الأخ نقول هكذا ؛ لم يرد من السلف والخلف في هذه الطريقة إلا الأذكار القلبية ، سواء كانت اسم الذات أو النفي والإثبات ، ولا يرخّصون في فعل أورادهم الملقنة للمريدين أن يفعلوها باللسان إلا إذا وصل السالك إلى مراقبة المعيَّة ، كما يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى ، فمن قال غير ذلك فليرنا ذلك ولو في أيِّ كتاب ، وعندنا من كتب النقشبنديَّة كتب لا تحصى ، ولا نجد فيها ما يفعله هؤلاء الجماعة المخترعون ، ونحن - فالحمد لله ربّ العالين - ولو كنا في قيد هذه الطاغوت ، وسجن هذه الصنم الأكبر النفس الأمارة القتَّالة الخدَّاعة سَالِمُوا الصدر مُنْشَرِحُوا القلب بين إخوان الدين ، وكلامنا في حقِّهم من جملة النصيحة . فلعلَّنا لسنا بحمد الله الذين يرون في نفوس الإخوان ما كان منطوياً في نفوسنا ما لم نتحقَّق الدلائل والقرائن .

قال رحمه الله : قوله (وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البدعات ، وظنوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة) . فلقد التمس مني شيخي وعمدتي الحاج مُوسَى حَاجِ بعدم إرسال رجل إليه ، ثم قال : إن شيخنا العارف بالله تعالى الحاج عبد الرحمن الثغوري نَهَى نهياً شديداً أكيداً بعدم تعلُّم قدره للأغيار وعدم إرسالهم

إليه ، وأما قائل هذا القول فلقد خدع قوماً ، وأراد خداع قوم مطمئنين إلى المشائخ ، فصار قوله عليه ردّاً .

أقول : إنّي أرى كلّ ما تقول في هذه الرسالة من غير تدبُّر وتثبُّت ، فالعَجَلَةُ من الشيطان ، وصرف الكلام من مواضعه بلا دليل يدلُّ على صحة صرفه غير جائز ، فأَخْبِرْني أيَّ رجل خدعْتُهُ ؟ ! وأيَّ مريد جذبته إليَّ ؟ ! ولو لا كنْتُ مأموراً من قِبَل شيخي بالتلقين لَمَا قدرتُ أن أتكلم في حقِّ هذه الطائفة ولو بحرف ، ولو لم أكن متحقِّقاً بحال هؤلاء المتشبِّهين لَمَا أَلَّفتُ تلك الرسالة ولو بجمع لفظ ، وأنا تكلَّمتُ مع من شاورني بما لاح لي من الحق اليقين ، ولقنت الذكر وعلّمت الرابطة على من طلب مني ذلك بالتضرُّع والإلحاح ؛ لأنّي مأمور بذلك . فهل يجوز لمسلم أن يمنع مسلماً أراد سلامتَه ، وطلبَ الحقَّ لِيتَّبعه ؟ ! وهل ينبغي لأحدٍ أن يكتم ما علمه ، ويسكت عن إظهار ما عرفه مع أنَّ المرشد إنما هو الداعي إلى الله والنائب عن رسول الله عليه السلام ؟ ! ولكنّ الدعوة تجب أن تكون خالصة لوجه الله ، صافية عن أوساخ الأغراض والإشراك ، غير مشوبة بالأعواض .

وفي الحديث : « من صمت عن الحق فهو شيطان أخرس » ولقد كان عادة شيخنا قدس سره أن لا يطلب المريد ، بل كان يخاف من كثرة المريدين لديه ، وإن جاء لديه مريد صادق كان يقبله ولا يمنعه ، وهذا عادتي أيها الأخ ، فأنا بحمد الله لا أطلب مريداً لا بالقلب ولا بالقالب ، ولو علمتُ أنّ أحداً أعرف منّي طريقاً لدلّلتُهُ إليه ، ولا أترك عندي ولو واحداً من المريدين . فالحمد لله ربّ العالمين .

قال الشعراني في « المنن » : وممّا منّ الله تعالى به عليّ عدم مزاحمتي لمشائخ عصري على شيء من أنواع صفات المشيخة ، كتلقين الذكر ، وأخذ العهد ، وإرخاء العذبة لأحد من الناس ، لا سيّما إن كانوا

أقدم هجرة منّي في الطريق إذا كبر سنّاً فيها ، ثم إنّي إن رأيت أحدهم أعرف منّي طريقاً تلمّذت له . انتهى عبارته .

وقال فيها أيضاً : إنّ ممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ فرحي بكلّ شيخ برز في حارتي[1] ، وانقلبت إليه جماعتي ، حتّى لم يبق حولي واحد منهم ، ومن تكدّر من ذلك فهو خارج عن سياج الفقراء ، ممقوت . انتهى .

وفيه أيضاً : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى ، وإنما تقع من قاصريْن أو قاصر وعارف ، فيريد القاصر أن يكون شيخاً مثل العارف ، والعارف لا يريد ذلك . انتهى عبارته . وقد شبّهَ الغزالي رحمه الله المريدَ بالميّت ، والشيخ كمن وجب عليه حمله . فالعاقل يشكر ويفرح إذا وجد من يحمل . فافهم فإنّه مهمٌّ نفيس .

قال رحمه الله : وأما جعله أعمال شيخنا أبي مريم ﷺ من قيام ليل وصيام نهار وحفظ كلامه تعالى من البدعات عار ، رادٌّ عليه .

أقول - والله أعلم - : فَمَا أَعْظَمَ هذا البُهْتَانَ مع كوني بريئاً من ذلك ، فالعياذ بالله من أن أذكر الشيخ عبد الرحمن الثغوري بسوء ، فهذا ممّا لا يطيب القلب أن يعفو عن هذا القائل ، ويتجاوز عن ذلك البهتان ، لكن غلبة الرحمة على هذه [الأمّة] حملتني إلى التجاوز عن زَلاَّتِهم إكراماً لنبيّهم عليه السلام ، ولا أرضى أن يؤاخذ الله أحداً بسببي ؛ فالحمد لله على ذلك . ولا أقول قطّ أن الشيخ الثغوري ارتكب بدعة أو غيّر طريقاً ، بل كان على ما كان عليه أشياخه النقشبنديون ، ولم يؤسّس فوق ما أسّس الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ومشى عليه أكابر النقشبنديّة مذ زمنه إلى زماننا هذا ، حاشا ذلك وكلاّ ! ! بل الحقُّ اليقين في حقّه ما قاله خليفته ومأذونه في مدّة حياته إلياس الزدقاري قدس سره في كتابه « سلّم

---

(١) حارة : موضع . « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » .

المريد » ؛ وهو هذه العبارات : اعلموا أيها الإخوان الأحباء والأصدقاء الأصفياء ! كما كان لشيخي وأستاذي وسندي الحاج عبد الرحمن الثغوري إذنٌ من المشائخ النقشبنديين ، كان له إذنٌ من مشائخ الطريقة القادرية للإرشاد ، ولكن كانت قاعدة تلقينه الذكرَ أن يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض المريدين ، ثم إذا حصلت له بركة وجذبة يلقنه بالذكر القلبيّ ، ثم باللطائف المذكورة . ولبعضهم يلقِّن بالذكر القلبيّ أوّلاً . وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهريّ في المساجد والمجامع والموالد ، ولا ينهاهم عنه . انتهى . ثم قال قدس سره بعيد هذا : اعلموا فلقد كان لنا في حياة الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري المريدون والمريدات ، وأنا كنت أمرت المريدين في فعل أورادهم بما عليه مشائخنا من الذكر الخفيّ إلى آخر ما قال .

وقال فيه في الفصل الثاني : وأمّا للطريقة النقشبنديَّة فاسْمَان : اسم الذات ، والثاني : النفي والإثبات . فالتلقين عندهم على نوعين :

الأوّل : أن يكون المريد من أهل الجذبة ، فيلقِّنه الشيخ اسم الذات ، ثمَّ النفي والإثبات بحبس النفس .

والثاني : أن لا يكون المريد من أهل الجذبة ، فيأمره الشيخ بذكر النفي والإثبات بغير حبس النفس ، فيذكر المريد كذلك حتى تحصل له الجذبة ، وإذا حصلت له الجذبة يلقِّنه الشيخ اسم الذات ، ثم النفي والإثبات بحبس النفس إلى آخر ما قال ، وكلاهما بالقلب ، كما مرَّ ، وكذا في سائر كتب النقشبنديّة . وهكذا في « الآداب المرضية » لجمال الدين قدس سره .

قال غفر الله ذنبه وعفى عنه : واعلم أنّ هذا الشيخ ﷺ ؛ يعني : الحاج عبد الرحمن الثغوري مجدِّد في الطريقة ، كخالد شاه والإمام الرباني ونقشبند بهاء الدين ، ولا عار عليه فيما أسَّس وأقام .

أقول : وقد علمت أيُّها الأخ من كتاب شيخه جمال الدين ، ومن كتاب خليفته إلياس الزِّدقاري أنه لم يُؤَسِّسْ خلافَ ما أسَّس الأئمة المجدِّدون المذكورون ، وعلمتَ أيضاً ممَّا مرَّ أنه كان له إذنٌ من القادريَّة ، فإن كان خلفاؤه بزَعْمِهم يَزْعُمُون أنّ لهم إذنٌ من طرفه لتلقين الذكر القلبيِّ على قاعدة النقشبندية فليلقّنوا الذكرَ كما كان شيخهم يلقنه كذلك ، ولا يجوز لهم أن يخالفوه ، وإن كانوا يَزْعُمون أنّ لهم إذنٌ منه لتلقين الذكر على قاعدة أحد الطريقين . فمن أراد الاطلاع على كيفية أذكار القادريّة فليراجع إلى كتابنا « الدرة البيضاء » ، وكذا إن كانوا يدَّعون أنَّ تلقينهم على قاعدة سائر الطرق لا على قاعدتهما فيجب الموافقة على قاعدتها ، ولا يوافق كلٌّ ما يفعلونه ولو على واحدة منها . فظهر بهذه المذكورات عدم أهليتهم للتلقين والإرشاد وبان بها دعواهم على المشيخة ، وأنَّ ما يصنعونه محض ابتداع وافتراء ، وخلصتُ أن يُرَدَّ عليَّ مآل قولك : رادٌّ عليه .

قال - **عفى الله عنه وعنا وعن سائر المسلمين** - : قوله (حاشاها وكلاًّ ! بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة ، هداهم الله تعالى إلى كلِّ ما فيه صلاحهم آمين) . إنما خرَّب عقيدة القائل وضيَّع في حقِّهم ، وإنما لم يدرك حقيقة معاملتهم ، فالمشائخ من شيخنا العارف بالله تعالى لهم إذن على قدر مشربهم وتفاوتهم ، ولا يجب إدراك حقيقة أكابر هذه الطائفة ولا حقيقة أصاغرهم إلا ما أدركوا عن شيخهم ؛ فمنهم عال وسافل ، ومستقيم ومريد للاستقامة ، والشيخ في أمّته كالنبيّ في قومه . فمن المشائخ مَنْ مشربهم على قدم النبيّ عليه الصلاة والسلام أو على قدم موسى أو عيسى . . إلخ عليهم وعلى نبيّنا السلام .

أقول - وبالله التوفيق - : أيها الأخ هداك الله ، فإن كنتم صادقين فيما قلتم ، وممتثلين على ما كان عليه شيخكم ، ومأذونين من طرفه فلم

لا تستعملون الأذكار النقشبندية أو القادريّة بلا تغيير ولا تحريف عمَّا كان هو يستعمله ؟ !

وقد علمْتم مما مرّ آنفاً أنه كان مأذوناً من الطريقين ، ووقع الخلاف بين ما تفعلونه وبين ما يفعله شيخكم ، فهل كان إذنٌ لكم أن تضعوا طريقاً جديداً ، وتستعملوا أذكاراً وأوراداً تخالف على ما ورد عنه عليه السلام وكان عليه أئمة الطرائق ؟ ! **لا والله ، بل أنتم وأمثالكم اخترعتم وابتدعتم وخالفتم وغيَّرتم الأصول ، وحرَّفتم الأوضاع ، وخرجتم من دائرة الطريقة النقشبنديّة الخالدية** ؛ لقول سيد هذه الطائفة خالد البغدادي قدس سره : **من غيّر أصول طريقتنا فليس منَّا** .

فتحقَّق بما ذكر أيها الأخ أنكم وأمثالكم لم تدركوا حقيقة أكابر هذه الطائفة كما قلتُ في رسالتي ، وليس مرادي من عدم إدراك الحقيقة عدمُ إدراكهم على حقيقة المشارب الأنبيائية كما فهمتم ، وأنت أيها الأخ قلتَ : إنَّ الشيخ في قومه كالنبيِّ في أمته ، نعم يا أخي هو حديث قيل فيه لا أصل له ، لكن السيوطي رحمه الله قال في « الدر المنتثرة » : قلت : أسنده الديلمي من حديث أبي رافع . انتهى . فأثبت له الإسناد . **فاعلم** إذا كان الشيخ في قومه كالنبيّ في أمَّته ، هل يجوز أن يضع شرعاً جديداً غير شرعه ، أو يسلك طريقاً غير طريقه ؟ ! **لا والله لا والله ، لأنَّ الشيخ نائب رسول الله ﷺ وخليفته في أمته . فكل من لم يمش في طريقته على ما مشى عليه أشياخه ، وتشيَّخ هو بنفسه فهو كذابٌ مفتر يتخذ إلهه هواه ، ومتّبعٌ على ما أراد منه شيطانُه ، فأغواه وأضلَّه الله على عِلْم ، فأرداه .**

وفي « البهجة السنية » قال الرازي رحمه الله تعالى : إنَّ من تصدَّر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق .

انتهى من عبارته . فستعلمون من خرَّب العقيدة وضيَّع حقوق المشائخ ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ ، وهو ﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ .

وأظنّ - والله أعلم - أنَّ من خالف الأساتيذ فقد كذَّبهم ، ومن كذَّبهم فقد كذَّب الرسول عليه السلام ، ومن كذَّبه فمأواه النار ، لخبر « من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار » ، ولقد علمتم أن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره لم يُغَيِّر هذه الطريقة ، ومرَّ حقيقته قبيل هذا ، فتدبره . قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . ويَشْبهُ قولُ من تعصَّب وتخرَّب ولم يتبع الحقَّ إذا ظهر قولَ من قال الله تعالى في حقّهم ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ . قال عز من قائل : ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ .

قال - رحمه الله ورزقه التوفيق - قوله (وسمعنا أن أكثر المتشيخين - سامحهم الله تعالى - يجرُّون مريدي الأغيار إلى جوانبهم بالأقوال المموَّهات والحِيَل الباطلات ، عياذاً بالله تعالى عن هذه الغرورات) . والمتشيِّخ من يدَّعي الشيخوخة وليس هو منها ، كمثل هذا الكاتب السالك بلا جذبة قبله ولا بعده ، كما أخبر في « إبريز الذهب » . وفي كتب أهالي الطريقة النقشبندية : أن من سلك بلا جذبة قبله ولا بعده فلا يصحّ أن يكون شيخاً مرشداً .

أقول - وبالله التوفيق - : نعم يا أخي هذا عين ما نقول فلا غبار فيه - هداك الله إلى ما يرضاه - ومرادنا من جميع من ذكرناهم المتشيِّخون الذين تصدَّروا بأنفسهم ، لا المشائخ المتحقِّقون ، وأما أنا يا أخي متشيِّخ كما قلتَ ، بل أنا لست في مقام مريد فضلاً في مقام المشيخة ، فقد أحسنت وأصبت ، والله يصيبك بالخير آمين . ولكنَّ الإنسان مجبول على خُفْيَةِ عيبه ورؤية عيب غيره ، بَيْدَ أنَّ شيخنا قطب الأولياء الحاج

عبد الرحمن العسلي قدس سره كان يأمرني بالتوجُّه إلى مريديه سرّاً منهم ؛ أي : بلا إعلامي لهم بأنّي أتوجَّه إليهم ، وذلك الأمر منه قدس سره ليمتحن لي ؛ هل أطَّلع على أحوالاتهم أم لا ؟ وهل أعلم ترقّياتهم وتنزُّلاتهم وقبضهم وبسطهم أم لا ؟ فكنت كذلك في مُدَّة ممتثلاً أمره ، ثم بعد زمان رخَّص لي بالتلقين بالذكر القلبي لا مطلقاً ، وقد أحال إليَّ أمر مريديه حين مرض هو أو غاب ، ولقَّنتهم الذكر القلبي إذا ظهر لي منهم أمارة حياة قلوبهم بالانعكاس وبالتفتيش منهم ، وبشَّرني بأن قلوب من لقنتهم متأثِّرة بأثر الحياة .

ثم بعد زمان أذن لي بالإذن المطلق ، ورخَّص لي لتلقين أذكار السلوك كلّها ، وكتب لي صك الإجازة والخِلافة المطلقة ، وختم عليه خاتمه بيده الشريفة ، ووقعت تلك الكتابة والإذن عند العالم الرباني الحاج محمد بن شعبان العسلي ، والعالم الألمعي الحاج حديث القحي رحمهما الله ، وأحال إليّ بعد ذلك أمر مريديه سواء كان حاضراً أو غائباً ، وأمرني بتبديل الذكر من لطيفة إلى لطيفة حين ظهرت النتيجة لتلك اللطيفة القبلية ، ولكن إذا تفكَّرت في نفسي ونظرت في الكتب لم أجد فيَّ من أخلاق القوم أهل الإرشاد إلا الصورة التي لا يعدُّها أهلها شيئاً من الأشياء ، وخفت بعد ذلك من التصدُّر للإرشاد ، وأمهلت أمره حتى أن إخواننا قد شكوا لدى شيخنا قدس سره بأني لا ألقِّن الذكر ولا أمتثل أمره ، بل أمنع من طلب مني التلقين ، فقالوا لي : إنّ الأستاذ قد أغلظ الكلام عندنا في حقِّك وأكَّد ، وقال : قولوا له : لِمَ تقطع الناس عن المنفعة ، وقولوا له : اذهب إلى محلة كذا وكذا ليلقِّن الذكر لمن طلبوه[1] منه ، وكان في تلك المحلَّة أناس يطلبون[2] منّي التلقين قَبْلُ فمنعتهم .

---

(١) التلقين . (منه) .

(٢) علّه : طلبوا .

وهكذا أخبرني العالم الحاج عيسى القحي والعالم العارف أبدلو القحي رحمه الله ، فلم أجد لي بُدّاً من الامتثال ، فوجب عليَّ الانقياد ، لكن زاد فيّ الخوف لمخافة أن يكون ذلك من مكر المشائخ ، لأنَّ عادتهم أن يطردوا من أرادوا الطرد من حيث يظن القرب ، كما هو عادة أهل الله ، فالعياذ بالله من الطرد والإبعاد ، ولكن لم أطق أن أردّ الكلام لدى الأستاذ ثانياً وثالثاً ، واستحيت منه فما تجرَّأت أن أقول له : لستُ أهلاً لذلك بعد أن استخلفني ؛ لئلاَّ أكون معترضاً عليه فيما فعل ، لكن تصاغرت وتضائلت لما أعرف من نفسي قصوري عن ذلك وتحيَّرت وترددت .

ثمَّ أرسلت الرسالة لدى العالم الرباني والعارف الصمداني السيد الأمير النقشبندي سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره بالمشاورة معه في حقِّ ذلك الأمر ؛ لأنه أعلم في ذلك الباب .

رسالة سيف الله قدي قدس سره

فرجع منه الكتاب وفي أثنائه هذه العبارات : ثم اعلم أيها الأخ المخدوم إن لله تعالى عباداً صلحاء أقيموا لإقامة هذا الدين ، وجعل أمور الخلق في أيديهم ليفعلوا ما فيه المصلحة للناس على طبق حكمة الله وأمره ، فكلُّ من يتولَّى على أمرٍ أو يعزل من أمر فإنما هي بتدبيرهم ، فاحمد الله تعالى حمداً وافراً على ما أولاك به ، واشكر معبودك على نعمته فإنما الشكر سبب لمزيد ، ولازم على ما أمرك به الشيخ وإن خالف أمره اعتقادك ، لما أنه طبيب قلبك يعلم ما أنت لا تعلمه ، وإياك والإنكار عليه وعلى أمثاله فإنهم أمناء الله تعالى في أرضه وعرائسه ، ولا سبيل لأحد أن يَمَسَّ عرائس الله بسوء ظنٍّ أو قول أو إنكار ، فإنَّ ذلك سوء أدب معهم ، فالعياذ بالله من مقته . انتهى من خطِّه .

وهكذا كنت شاورت العالم المحقّق والعارف المدقّق أدرة العرادي النقشبندي عند الملاقات في حقّ ذلك الأمر ، وعرّضتُ له شكوى ، وأظهرته تردُّدي وتحيُّري . ثم بعد زمان وصل لديَّ مكتوبه بهذه العبارات : فمراد هذا العبد ذي العجز والتقصير إبلاغ السلام إلى حضرة الكرام ، وحفظ حبل المحبة والإخاء مع تجديد عهد الوصية بالدعاء ، وثانياً إني راض عن كلّ ما يصدر منكم على مقتضى مقصود مرشدنا ومراده من إصلاح أمر المريدين والنظَر إليهم بكلّ ما ينفع لهم ؛ لأني تكلّمت مع مرشدنا ومولانا قدس سره وروحي فداه فيما لك في حقّ النظر إليهم من التردُّد والتأدّب على مقتضى ما جرى بيننا يوم اللقاء ، فاجاب لي قائلاً : إني رأيت ينفع لهم على حسب ما يحصل له من الفناء . انتهى . فرضي الله عنك وجزى الله سعيك ، ووفَّقك وهداك . انتهى من خطّه .

ثم بعد ذلك تيقَّنت أن الأستاذ قدس سره لم يفعل إلا ما فيه المصلحة ، لكن اجتهدت أن أدرك النقل الموافق لفعله قدس سره ؛ لِمَا أنّي لم أجد في فعله أو كلامه أو أحواله منذ صَاحَبْته ما لا يوافق النقل ولو في أدنى شيء ، فوجدت في مكتوبات الإمام محمود الفعال قدس سره ما حاصله : إنه يجوز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة ، وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة بأنَّ يده يد شيخه ، وأيّد ذلك بما في « الرسالة المدنية » ، وهو ما حاصله : إن بعد اطمئنان النفس يستعدّ المريد لتربية الطالبين وللتوجُّه ، وأمّا قبل هذا فمن قبيل خرط القتاد ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه ، كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس إلاّ إيلام النفس .

نعم إذا كان بإذن الشيخ ، فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته ، إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره ، ثم قال فيها أيضاً : واعلم أنه قد يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمناف

للإفادة والاستفادة ؛ لأن يد الناقص يد الكامل . انتهى عبارته . وهكذا بل عينه في البهجة السنية للخاني قدس سره .

فبهذه المذكورات تبيَّن جواز كوني من أهل الإرشاد وإن خالف رأي هذا الأخ ؛ من كوني متشيِّخاً سالكاً بلا جذبة قبله وبعده . جزاه الله عنّا خيراً وألهمه رشده دائماً . فكم وكم نقائصٍ في نفسي نبَّهني هذا الأخ إليها بشدَّة صفاء بصيرته ، وكم وكم فوائد دلّني عليها هذا العالم . فالحمد لله رب العالمين .

قال رحمه الله : وأخبرني واثق : كان في بِجْطَه مريدون للشيخ العسوي ﷺ ، ومريدون للشيخ فِرْمحمد حَاجِيَوْ ﷺ ، فذهبوا إليه فقال : أرسلوا رسالة إلى شيخكم يطلب الإذن فإنه يعطي الإذن ، ثم أرسلوا رسالة إلى الشيخ العسوي ﷺ فأذن لهم . انتهى . فإنَّ مثل هذه لا يصحُّ أن يقال : إجرار مريدي الأغيار إلى جوانبهم .

أقول - والله أعلم - : ومن هذه الحكاية يُعْلم إخلاص كلا الشيخين المذكورين قدس الله سرهما ، وهكذا يجب أن يكون كلَّ شيخ ، ولا يطلب المريد إلا من أحب الرياسة وأقبل على الشهرة ، بل الشيخ الصائب يزيد خوفه بزيادة أتباعه ، كيف لا ؟! وقد ورد في بعض الأحاديث ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد عن الله بعداً ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ، ولا كثر ماله إلا اشتدَّ عليه حسابه » . وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا الطمع وحبّ الشهرة والجاه ، وأخذ الدنيا بالدين ، وجميع هذه النيات فسادها غنيٌّ عن البيان .

ولقد أصاب الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره فيما فعل وأحسن ، فلعلّه شكر سعي الحاج فرمحمد رحمه الله وفرح بذلك ، لحمله الأثقال التي وجب عليه حملها ، وإراحته له من مشقة تربية أولئك المريدين ، فكم وكم ثقلاً يحمله قدس سره من أثقال هذا الورى ، فكم

وكم مرات وجدته قدس سره مريضاً ، بحيث لا يطيق أن يصلي قائماً بكثرة ورود حَمَلاَتِ الناس عليه ، فلو لم يكن للمرشد في هذه الطريقة النقشبندية سوى أن يقول : قل كذا وكذا أو اذكر الله كذا وكذا ، كما ليس سواه لهؤلاء المدّعين لكان الأمر سهلاً ، لكن التوجه والتصرُّف بالهمة الفعالة شرط في تلك الطريقة ، وذلك أصعب الأمور ، فما للمرشد وقت ما من الأوقات فيه راحة ، إلا وقت لم يتوجه إليه فيه أحد ، فكيف ؟ ! أنه تنعكس إليه أمراض المريدين وخطراتهم ، فإن حصل للمريد بَرْدٌ يبرُد الشيخ أو وقع للمريد غمٌّ وهمٌّ يقع الشيخ فيهما ، حتى إن احتنق المريد أو احتقب يحتنقه ويحتقبه . وقس عليها سائرها ، وراجع « الرشحات » و« المنن » إن شئت أن تدرك حقيقة ما قلته ، ولا تنكره لكونه ممّا لم تذق منه شيئاً .

قال الشعراني في « المنن » : وصورة مجموع الأمراض التي تقع لي أيام الحَمَلاَت الثقيلة أنني تارة أحِسُّ بأنَّ شخصاً قوياً يضرب رأسي بطَبَرٍ من حديد ، وتارة تحبس فَضَلاَتي مدة سبعة أيام ، فلا تخرج بدواء ولا غيره ، وتارة يدخل عليَّ غمٌّ وهمٌّ وثقل حتى أصير ألهث مثل الثور إذا تعب ، ويخرج من حلقي رائحة الدخان ، وأطلب الموت فلا أجاب . انتهى من عبارته ٢٣٩ .

ولا أظنُّ أنَّ من هذه البلايا والحملات بعضاً لا يصيب شيخنا العسلي قدس سره ، بل صرَّح كثيراً أنَّ بعضاً منها يذوقه . فالحاصل أنه قدس سره قطب البلاء ، كيف لا ؟ ! وقد قال لي مراراً : إنّ ما أحمله من حَمَلاَت هذا الخلق وأثقالهم لا يطيق أهل البلدان أن يحملوه . انتهى .

وقال لي مرة : إنه طلب الموت إذ اشتدَّ عليه تلك الحملات فلم يجب . انتهى .

وقد ذكر الشعراني في « المنن » : أنه كان إذا دخل في البلاء مع جملة الأولياء يحسُّ بمفاصله ما دام البلاء لم يرفع كأنها تقطعت ، وبعظمه

كأنه يدق في الهاون ، وبرأسه كأنه يرضح بين حجري مِعْصَرَةٍ لا يكاد يحسُّ بغير ذلك ، ويحسُّ تارة بأنَّ تحت كلِّ شعرة من بدنه مِسْماراً من نار يدق . فليراجعه من ١٣٩ . وليتدبر العاقل هل يطلب أحد أحداً ليكون مريداً له ويحمل عليه حملاتهم مثل هذه المذكورات ؟ ! لا والله ، لكنّ الذي لم يذق من هذا المقام شيئاً ، ولا يعلم من أحوال القوم إلا الحكايات ، بل عادته أن يقول لمن جاء لديه : أُذكِرْه كذا وكذا ذكراً ، وصلِّ على النبي عليه السلام كذا وكذا صلاة أو غيرهما ، يجوز أن يطلب المريدين ، ويحجر عليهم في الاجتماع مع غيره ، ويجوز أن يكون التحجير لدسيسة خفيَّة في قلبه ، والله أعلم .

قال الشعراني قدس سره في « المنن » : وقد أجمع القوم على أن الصادق لا يفرح بالمقبل ، ولا يحزن على المدبر إلا بوجه شرعي . وأنشد سيدي إبراهيم المواهبي رحمه الله تعالى :

كُـلُّ مَـنْ جَـاءَ يَـجِـيءُ ... وَكُـلُّ مَـنْ رَاحَ يَـرُوحُ
لَـيْـسَ يَـثْـبُـتُ هُـنَـا ... غَـيْـرُ أَهْـلِ الـفُـتُـوحِ

انتهى عبارته .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغى لفقير أن يتكدَّر من انقطاع الناس عن التردُّد إليه والغفلة عنه ، بل اللائق به الفَرَحُ ؛ لأن أكثر صحبة الناس اليوم تشغل الفقير المبتدىء عن ربه عزّ وجلّ إلى آخر ما قاله من عبارته .

قال رحمه الله وعفى عنه : ولكن قوله صار عليه وبالاً لِتَخَلُّسِهِ(١) مريداً سالماً عالماً الذي وقع نظره من أربعة مشائخ من طريقة ثغراوية ، فبسبب نظرتهم عليه كان يحمل أثقالاً من الخلق ويصير بينهم كالملح في الثريد ،

---

(١) هاون : وعاء يدقُّ فيه الطعام .

ثم إن هذا المريد غرَّ وصار يجعل الرابطة إلى الشيخ الألمالي ﷺ قائلاً : إنّه يريد الطريق النقشبندية وليس عند غيرهم غير الشريعة ؛ بسبب أنهم قالوا : إنما نعطي الشريعة لا الطريقة .

أقول – والله وليُّ التوفيق- : فالمراد من قولكم هذا هو العالم المحقق محمودِ لْمُحَمد الطليقي – رزقه الله التوفيق وجعله من أهل التحقيق آمين – الذي قال في حقه العالم الرباني والعارف الصمداني صاحب السرّ المصون والكشف الصائب ، ذو الكرامات العجيبات والخوارق الغريبات ، أخونا المعنويّ ، وخليلنا الحسنيّ السيد الأمير سيفَ الله الحسيني النقشبندي الغازي الغموقي – قدس سره ورزقنا الله تعالى نصيباً من معارفه وفيضاً من فيوضاته ، آمين – إنه العالم العامل بعمل صلحاء الأمَّة مع أنه مجهول الشخص عندهَ .

نعم يا أخي ، فما المانع من ذلك ؟ ألا يجوز أن يدخل في الطريقة مع أنَّ الأئمة أجمعوا على وجوب اتخاذ الشيخ بلا خلاف منهم ؟ ! ومع أنهم قالوا : **من لم يتخذ له شيخاً ولم يدخل في الطريقة فهو عاص لله ورسوله ؛ لأنَّ الطريقة لتكميل الشريعة ، وتكميلها موقوف على الدخول في الطريقة ؛ لأن الإخلاص في جميع أنواع العبادات الشرعية واجب ، والعبادة التي ليس فيها الحضور والوقوف كصورة بلا روح ؛** ولذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : **ركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساه** . وقد شبّه الغزالي في « جواهر القرآن » **فقد النية والإخلاص والحضور كفقد الروح من الوصِّيفة**[1] . انتهى .

ومعلوم مشهور أنّ الأعمال والعبادات تُحَفٌ يُتْحِف بها العبدُ إلى الله ، والمُهدي للجيفة الميتة كالمستهزئ للسلطان فيستحقّ سفك الدم . وفي « مجموعة الرسائل » : إن الطريقة والشريعة توءمان كالروح والجسد ،

(١) الوصيفة : الجارية دون المراهقة ، والجمع : وصفاء ووصائف .

أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص الذي هو عمل القلب ، والآخر لتحصيل أركان الذين بكماله الذي هو العمل بالجوارح ؛ فإنّ الروح بلا جسد ما له قيام ، وإنَّ الجسد بلا روح ما له دوام ، وذلك أمر مشترك بين المكلّفين من الرجال والنساء . انتهى عبارته .

ولهذا وجب على كلِّ مؤمن ومؤمنة أن يتَّصف بصفة الإخلاص والحضور في جميع أنواع العبادات الشرعيّة ، وإذا وجب ذلك وجب أن يزكي القلب عن رذائل الأخلاق المضادَّة للإخلاص والحضور ، وهي مختفيّة جدّاً لا يدركها إلا حديد البصيرة ، وإن أدركها لا يعرف كل أحد أن يُعَالج لإزالتها ؛ قال الغزالي في « الجواهر » : قال الله تعالى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ والتزكية : هو التطهير ، قال ﷺ « الطهور شطر الإيمان » فافهم منه ؛ لأنّ كمال الإيمان تزكية القلب عمّا لا يحبُّه الله ، وتحليته بما يحبُّه الله ، فالتزكية شطر الإيمان ، فكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة ؟! انتهى من عبارته .

فلذلك احتاج إلى طبيب يعلم الطبَّ الروحاني الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضها وأدويتها وإلخ ، ليُدَاويَهُ ، ألا وهو الشيخ الذي يُنَزِّل الدّواء على موضع المرض ، وذلك الدواء هو الذكر لا غير . وقد قالوا : إنَّ من شرط الذكر النافع أن يأخذه الذاكر من شيخ مأذون معتبر الذي لم ينقطع إسناده وإسناد ذكره ؛ لأنَّ الذكر لو كان خالياً من نور النسبة الذي يحجُبُ به الشيطان لا ينفع الذاكر ، بل يهلكه ويَصيرُ ذلك الذكر كإلقاء السمِّ ليداوي به المريض ، فافهم فإنه نفيس .

وفي « السير والسلوك » : وأما من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ، ولذلك ترى الأبرار وإن سعوا في الخلوص من الصفات وتيسّرلهم ذلك وقعوا في صفة أخرى وخصلة أقبح من الأولى . انتهى من عبارته .

فإذا كان الحال كما ذكر وجب على ذلك العالم مَحْمُودِ لْمُحَمَّدِ الْطليقي دخوله في الطريقة ، وأخذُهُ الذكرَ من أهله . ولا يخفى أنّه لا يلزم أن يتقيَّد في أوراد اعترفَ ملقّنوها أنّها ليست بطريقة ، مع أنّه يجوز الانقطاع من شيخ ويتصل بالآخر إذا رأى الطالب رشده عند شيخ آخر . وقد أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارا . وتفصيله في « نفائس السانحات » و « الدرّة البيضاء » و« البهجة » و« المنن » و« البريقة » و« فتاوى » ابن حجر من الخاتمة وغيرها . وقد يكون مريدٌ لا فتح له عند شيخ ويفتح عليه عند شيخ آخر ، وأقلّ ما يحصل لمن يأخذ الذكر من أهله حياة قلب الذاكر ، وهو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى ، وإن كان فوقه مقامات لا تحصى . **ومن وقع عليه نظَر المشائخ لا بدّ أن يُحيي قلبَهُ ؛ لأنَّ القلب إنّما يُحْيِي بقلب حيٍّ . وهو ميزان صادق ليعرف المريد صدق الشيخ وكِذْبُه فافهم .**

فلو كان ذلك العالم ملحوظاً بنَظَرات مشائخه القبليَّة لعرفَ أثر حياة قلبه ؛ وهي : الحركة والاضطراب ، والحرارة المعهودة للطيفة القلب ، أو جريانه بالذكر إذا توجَّه إليه ، ووجدانه ذاكراً لله بلسان خياله . ولو كانوا ينظرون إليه قبل ذلك لوجب عليهم أن ينظروه بعد دخوله في عهد غيرهم بنظر الإمدادات ، ويعتبروه بأشدّ الاعتبارات ؛ لأنّ مقصود جميع المشائخ الكاملين أَنْ يَصل العبد إلى الله تعالى ولو كان ذلك الوصول بيد غيرهم ، ولا قصدَ لهم غَيْرُ ذلك ، حتى أَنَّ الكاملين يفرحون بذلك ويشكرون ويمدُّون لذلك الشيخ الآخر ، ويفيضون . ولو فرض أنّه انقطع عن الهداية بالدخول في الطريقة الحقيقة[1] ، والخروج من دائرة طريقة مجازيّة مع أنه بعيد .

(١) علّه : الحقيقيَّة .

فنقول : إنّه لا يجوز لهم انقطاع نظرهم عن ذلك المريد ، بل الواجب عليهم أن يجتهدوا لتخليصه من الانقطاع وإرجاعه ثانياً في دائرتهم بهمم روحانيتهم ؛ فقاعدة المشائخ إذا وقع المريد في أمواج البحار أن يجرّوه إلى ساحل البحر .

وقد قال صاحب « الإبريز » : إنّ المريدين بمثابة أكواب الحمام فهي لمن غلب ، فالشيخ الذي يغضب على مريده حيث يتركه ويذهب لغيره عاجز أو عقيم ، فمن عجزه وعقمه ذهب مريده لغيره . انتهى من عبارته .

ولقد فهمنا من كلامكم أيُّها الأخ أنَّ ما يفعله هؤلاء المنتسبون إلى النقشبنديَّة إنّما هو للتبرّك ، وأنّه يجوز للمريد بعد حصول البركة والجذبة أن يدخل في الطريقة . نعم ، لو كان كلامهم هذا صادقاً فلمَ لا يُدخلونه فيها ، ولِمَ لا يلقّنونه الذكر القلبيَّ ، وفي مريديهم من مضى منذ زمن أخذ الذكر منهم عشرون سنة ؟ ! وهو الآن على ما لقّن له يذكر الله أناء الليل وأطراف النهار ، ومع ذلك لم يُحْيِ قلبه . فاعتبر أيها الأخ بطريق لم يَحْيَ قلب سالكها في مدَّة عشرين سنة ، وقابلهُ بطريق يحْي قلب الداخل فيها في توجه واحد إن كان المريد مستعدّاً ، **أو في شهر واحدٍ إن لم يكن كذلك** ، والفرق بين ذينك الأمرين أنّ هذه الطريقة النقشبنديّة سالمة من البدع والأهواء ، ومعنعنة غير مُنْقَطعة عن الإسناد والاستناد ، ومعها نور النسبة ، فيتوجّه شيخ تلك الطريقة إلى باطن المريد في أوَّل دخوله فيها ، ومعه ذلك النور المذكور فيحجُب المريد من الشيطان ويتأثّر في قلبه بمجرّد الدخول فيها .

وتحقيق ذلك ؛ **أن كون المرشد في هذه الطريقة على مقام الولاية الكبرى واجب ؛ لأنَّ التوجّه فيها شرط ؛ لأنها طريق الانعكاس والانصباب من صدر إلى صدر** ، كما روي عنه ﷺ « ما صبّ الله تعالى في صدري شيئاً إلا وصببتُه في صدر أبي بكر » ولا يقدِر من ليس على تلك الولاية أن يتصرّف في باطن المريد بصفة الجذبة .

وأما ما يفعله غيرهم ؛ أن يقولوا لمريديهم اذكر الله كذا وكذا ، ولا يتوجّهون ولا يلقّنونه ، فيصير الذكر خالياً من النور ومنقطعاً عن السند ؛ فلذلك لا ينفع به ولا يُنْتج منه . ولقد صدق قوله عليه السلام « من استغنى برأيه ضلّ » . ولقَّب قطب الأنام الحاج جبرائيل أفندي اللكتي قدس سره شيخَنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره بذي الجناحين وهو اللقب الذي لقّب سيّد الطائفة خالد البغدادي قدس سره . وعادة هذه الطائفة أن يلقبوا به على من ارتقى إلى الولاية العليا التي ليس فوقها ولاية .

وتصرُّف هذا الشيخ مشهور معلومٌ ، وكون مريديه على الحضور التام ظاهر مجرَّبٌ ، وقطعه مقامات المراقبات التي فصّلها الغوث الأعظم بهاء الدين النقشبندي ممّا لا شكّ فيه ، وتلقينه للمريدين تلك المراقبات كنار على علم ، فلأيِّ شيء تمنعون ذلك العالم المذكور محمودِ لْمحمد الطليقي- هداه الله تعالى- من الدخول في دائرة طريقة قال في حقّها محمد نقشبند : المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه ؟ ! انتهى . فلو قدّرنا وفرضنا أن ذلك العالم كان داخلاً في تربية مشائخه في زعمه فلقد يكون المريد لم يقدّره الله تعالى الفتح عند شيخ وقدَّره عند آخر ، ويكون دخوله في عهد الشيخ الأوّل كالاستعداد لحصول الفتح عند الشيخ الآخر . قال عيسى عليه السلام : لن يدخل ملكوت السماء من لم يولد مرتين . فإذا آن لأنْ يولد الإنسان بهذه الولاية المعنويَّة أوصله الله تعالى إلى واحد من أشياخ الطريق ، وربَّاه حتى يلتحق بعالَم الأرواح ، ويتلطَّف لطائفه الكثيفة وتتذكّر أصولها .

ومن الأشياخ من يعلم مريديه قبل أن يصل إليه ويأخذ منه ، ولو كان في عهد شيخ آخر ، ثم إذا لقي ذلك المريد تبنّاه ورباه وأشفاه وداواه ، ويكون ذلك المريد كطفل صغير له أب ، ففرق الله بينه وبين أبيه ، فالتقطه آخر وجعل يربّيه ، فكبر الولد ولا يرى غير الرجل الذي

كان يربّيه فصار يقول له : أبي ويحَنُّ له كما يحنُّ الولد إلى أبيه حتى بقي عنده نحواً من سبع سنين ، ثم جاء أبوه الذي هو ابنه من صلبه ، فوجد الولد جالساً بفناء دار الرجل الذي يربّيه فوقف أمامه ساعة ثم مرَّ عنه ، فإن عروق ذلك الولد تذهب كلّها مع أبيه الذي من صلبه ، ولا يبقى له شيء منها مع الرجل المربّي هو أبوه . انتهى . فعلم من هذا أنّ من كان له شيخ مثلاً ولم يفتح على يده وفتح على يد شيخ آخر ؛ **فالذي وقع الفتح عنده هو شيخه الحقيقي** .

وقد قرّر في كتب النقشبندية أنّ الرابطة وحدها بلا ذكر تنفع في الإيصال . فما تقولون أيها الأخ في طريقة اجتمع فيها أربع طرائق مستقلّة ؛ التوجه ، والرابطه ، والصحبة ، والذكر ، كما هو معلوم من الكتب . فلو كنتم لا تنكرون على هذه الطريقة النفيسة ، ولا تُخربون عقائد هذه الطائفة العليّة لكان خيراً لكم ، ولو لم تكن أيها الأخ كتبت على رسالتنا هذه الأعاجيب التي لا يقبلها نقل ، ولا يصدِّق أغلبَها عقلٌ لكان ذلك أخْيَرَ لك وأفيد .

فإن دلائل هذه الطائفة ظاهرة كالشمس ، و ما بعد طلوعه ظهور للنجوم ، فإن كنت على قدم الصدق في دعواك أنك أويسيٌّ ، ولاقيت دليلاً من كتب الأئمة على التصدُّر لإرشاد الناس ، ومشيْتَ على قواعد هذه الطائفة بلا تغيير ولا تحريف فيجوز لك ذلك ، وإلاَّ فالمفسدة تغلب على المصلحة ، وتهلك هذه الأمَّة الأحمدية وتستحقُّ الطرد والإبعاد .

فالعياذ بالله ، إنه جواد كريم . عن ابن عمر رضي الله عنهما : « إنما أهلك من كان قبلكم الفرق » . وعن عرفجة بن شريح : « سَتَكُونُ هَنَاتٌ[1] وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ » فتدبَّر هذين الخبرين فإنهما شاملان مثل هذا الذي كلامنا فيه .

الإسناد من الدين

قال - رحمه الله ونفع الله به العباد -: فأقول في جواب قوله، (وإظهار معنى قولهم: إنما نعطي الشريعة لا الطريقة) أي: لا نعطي طريقة التربية إنما نعطي طريقة التبرّك، وطريقة التبرّك ليس مختصّاً بشيخ، بل يصحّ أن يؤخذ من عالم أو وليٍّ أو شيخ.

أقول - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب -: ولا يخفى على من له أدنى إدراك بقواعد أهل هذه الطائفة، وممارسة بعلومهم أنَّ ما قاله هذا القائل قول برأيه، وحكم مخالف لأصول الأئمة، وقد مرَّ غير مرة أن شرط الذكر النافع أن يكون بتلقين شيخ مقبول مأذون له من قبل شيخه المعتبر، وهكذا إلى رسول الله ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يلقِّن الذكر ولو كان للتبرّك إلاّ إن كان عارفاً؛ يعلم أسرار الأسماء الإليهة غير منقطع الإسناد والاستناد في أذكاره وأشياخه؛ لما قيل: **الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء.** فكيف يجوز ذلك؟! وقد قالوا: إنّ غَيْرَ العارف المأذون له إذناً صحيحاً يعطي للمريد مجرَّد الاسم بلا نور حاجب من الشيطان فيهلكه، والعارف يكون معه نور الاسم ونور النسبة النبويّة، فيعطيه له بذلك النور فيحجبه من الشيطان، ولا يقرب الشيطان من رجل معه نور الذكر ونور النسبة، ومن لا فالشيطان يلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة.

فتحقَّق أن ذكر التبرك المخالف لما ورد غير مبارك، ولا بركة إلا فيما ورد. فما بال إماتة الطريقة السالمة المعنعنة، واختراع الأذكار الغير المأثورة في تلك الطريقة قائلين: إنه للتبرّك، لا والله، إنّ البركة فيما ورد عنه عليه السلام، وإنّه أعلم بأسرار الأسماء الإلهية، وأصلح لهذه الأمة الضعيفة من هؤلاء الملقّنين المدّعين؛ قال الله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسُهم إلى

خلافه . انتهى من « الجلال من سورة الأحزاب من عبارته . وقال الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في المتممات : واعلم بأن الشريعة المحمدية - لمن تأمَّل جميع الأحكام المشروعة فيها ، وعمل على الوجه المشروع دون البدعة داعية - إلى تحصيل الجذب الإلهيّ ، وأما العمل بها على طريق البدعة فهي مبعدة عن الجذبة ، ولذا قبحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية . انتهى من عبارته .

فالحاصل : إن الخِلافة الباطنية مقتصرة بأبي بكر الصديق ﷺ ، وعليّ كرَّم الله وجهه ، وكلّ من انتسب إلى أيَّة طريقة من طريقتهما ، فلا يجوز له أن يتعمَّل فيها بما اختاره برأيه ، بل يجب عليه أن يتمسَّك بحبل ما جاء به ، ومن خالف فليس معدوداً من أهل الطريق ، بل هو منقطع من الانتساب ، ويصير مبتدعاً في تلك الطريقة ، ومعلوم مشهور؛ أنَّ أصل الطريقة الصديقية النقشبندية على الذكر الخفي القلبي ، وسيأتي أن المخالفين لأصول الطريقة خارجون عنها . . إلخ . وفي الحديث « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة » . . إلخ ، وقال سليمان الزهدي في هامش « نهجة السالكين » بعد هذا الحديث : المراد من البدعة خلاف الشرع ، وخلاف أصول الطريقة . انتهى من عبارته .

ولم ينقل عنه عليه السلام أنه منع الفُسَّاق وأهل الدنيا عن الذكر الوارد ، بل حثَّهم عليها ؛ أخرج الديلمي والبيهقي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء » . قيل : وما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال « ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، والصلاة على النبي ، والاستغفار » الحديث . وقد مرَّ شرط الذكر فلا نعيده فافهم .

قال - رحمه الله ، وهداه إلى الصراط المستقيم - :

فإن أراد الافتراق من ورد التبرّك ، يترك الورد ولا يجب عليه ، كما قال إبراهيم القزويني ﷺ ما مفهومه : إنَّ الذي أعطيك من الورد فافعل حين ظننت فعله وأردت وشُقْتَ إليه ، ولو من أسبوع أو شهر . وهو المجاور المدينة المنوَّرة في الحال ﷺ .

أقول ؛ والله أعلم : فإذا جاز ترك الورد ؛ ورد التبرّك فما المانع من جواز الدخول في الطريقة الحقيقة ، وأخذ الورد من أهلها ، وقد فهم من كلامكم من قَبْلُ عدم جوازه ، وجعلتم ذلك العالم المذكور مغروراً ، فإذا جاز الترك رأساً فجواز أخذ الورد مكانه يعلم بالطريق الأولى . وأما تلقين الذكر لأهل الدنيا والمناصب والأمراء وغيرهم ممن لا يطيقون السلوك الحقيقي على طريق التبرُّك والمحسوبية فأمر ثابت من السلف والخلف ، لكن الذي نتعجب به قول من يقول : إن الذكر الذي اختار الملقِّن برأيه يتبرَّك به ؛ والذكر الذي اختاره منبع الطرائق والحقائق ومرجع الفيوضات والإمدادات محمد ﷺ ، ووصل إلى المشائخ الكرام بلا انقطاع السلسلة مع النور الحاجب من الشيطان لا يتبرَّك به ، فهذا من أغرب ما سُمع .

وأكثر مشائخ الزمان إنما يلقّنون الذكر بقصد التبرك والمحسوبية لمجرَّد الانتساب إلى النسبة العلية قدس سره ، لكن يجب على الملقِّن أن يلقِّن الذكر الوارد في طريقته ، لا غير ، وإلا لا يقال لمن لُقِّنَ له أنه منتسب إلى المشائخ النقشبندية ، بل هو غير معدود منهم وغير داخل في دائرتهم ، فمن أين يحصل له البركة ؟ ! فافهم ولا تعجل فإن العجلة من الشيطان .

قال رحمه الله : فإن قيل (هذه الطريقة الألمالية والطريقة الثغراوية أيُّهما أقرب إلى رسول الله ﷺ وأحكم استقامة) ؟ فنقول في جوابه : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فإن وقع جذبة المريد في أوَّل سلوكه

---

(١) علَّه : الحقيقيَّة .

وبدايته نهاية سائر الطرق ، فالطريقة الألمالية أولى وأحرى وأقرب إلى حضرة رسول الله ﷺ ، وأحكم استقامة ، فإن لم يقع بداية المريد نهاية سائر الطرق فالطريقة الثغراوية أولى وأحرى للاتّباع ، وأحكم استقامة ؛ لأنّ للمشائخ الثغراوية رضي الله عنهم نظرتان ؛ من قبل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب نسبتهم إلى خلفائه عليه السلام ، ونظرة من قبل حضرة قطب الغوث وأعوانه ، بسبب دعواتهم وتضرُّعاتهم بالإخلاص للعوام والخواص حاضراً وغائباً ، فالفَهِم الذكيّ يُدرِك بنظَرٍ واحد ما لا يدرك البليد بألف شاهد .

أقول - والله أعلم - : فما أعظم ما اجترأتَ أيُّها الأخ للتكلُّم بهذه الكلمات التي لا طائل فيها ! فأيُّ فرق بين طريقة ثغراويَّة وبين طريقة ألماليَّة مع أنها طريقة واحدة مشهورة بالطريقة النقشبندية ؟ ! فلأيِّ شيء تغيّر ذلك الاسم وتُسمِّيها بذينك الاسمين ؟ ! ولقد علمت مما مرَّ نقلاً من « سلم المريد » أنَّ ما كان الشيخ عبد الرحمن الثغوري يفعل غَيْرُ مخالف لما يفعله المشائخ النقشبنديون . فإن كنت من أهل الذوق من شراب هذه الطائفة فأنت تعلم أن نتيجة ذكر القلب كذلك ، إلا لجذبه[1] إلى الله تعالى ، وذا عند أهل الذوق هو نهاية سائر الطرق ، فلا مجال أن نحكم بأولوية تلك الطريقة ، لكن غرَّكم عن إدراك حقيقتها الغرور ، وأوردتَ هذه العبارات لمجرَّد تطويل الكلام ، ولا نعلم أحداً وصل إلى الله إلا بواسطة مدد رسول الله عليه السلام ، بل كلّ مدد وفيض حصل للمريد بواسطة المشائخ فإنما هو عليه السلام وقطب الغوث يقسمه بينهم ، فليس ذلك مخصوصاً بأحد الطريقتين . فما أشدَّ بهتانكم على شيخكم في زعمكم أنه غيّر أسلوب هذه الطريقة ، ووضع طريقاً جديداً مسمًّى بطريقة ثغراوية . فالعياذ بالله من هوى مُتَّبعٍ ، ومن اتباع الرأي وعدم قبول الحقِّ .

---

(١) لعلَّ هنا سقط .

وفي « مجموعة الرسائل » : إنهم يحسبون أن الطريقة وضع رسم وتصاوير ، وأن المشيخة تصنُّع وتدابر بكمال جهلهم عن أسرار المشيخة الإله وقِلَّة عقلهم بما يعينهم إلى الصلاح ، وهم قطاع طريق الأوّاب ، ومفرِّق جمع الأحباب ، بل هم أضرُّ على الإخوان من المنكر المغتاب ، ووقع شباكهم بعض الحدأة والغراب ، عن أبن عمر رضي الله عنهما « إنما أهلك من كان قبلكم الفرق » . عن عرفجة بن شريح « ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يُفرِّق أمر هذه الأمة وهو جمع[1] فاضربوه بالسيف كائناً من كان » وهو شامل مثل هذه الفتن والتفريق عصمنا الله بالتوفيق . انتهى من عبارته .

الأصل من مولانا خالد البغدادي قدس سره

وفيه أيضاً ما حاصله : إنَّ المخالفين لأصول الطريقة خارجون منها ، بل معدودون من المبعودين ، ولكن الحقير ما يقول فيهم إلا مثل قول إبراهيم عليه السلام : فمن تبعنا فإنه منا ، فمن يخالف أصولنا فإنك غفور ، وبإصلاحهم قدير وجدير ؛ ربَّنا هَبْ لنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رَشَداً . وهذا الأصل من مولانا خالد البغدادي قدس سره هو أصل في كُلِّ الطرق . انتهى .

وفي كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني ما حاصله : إن من أحدث حكماً في دين الله فقد أحدث في نفسه ربوبية ، ومن أحدث في نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديَّته بقدر ذلك الحكم الذي أحدثه ، وإذا انتقضت عبوديَّته انتقض من تجلِّي الحقِّ تعالى له بقدر ما انتقض من عبوديته ، فإن أخلاق العبودية على الضِدِّ من أخلاق الربوبية ، وإذا انتقض من تجلِّي ربِّه له انتقص من علمه بربِّه ، وجهل من معرفته بقدر ما نقص . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : وهم جمع .

فليتدبَّر المنصف ما يرد على من قال برأيه ، وغيَّر اسم الطريقة النقشبندية وسماها بطريقة ثغراوية . قال عليه السلام « من استغنى برأيه ضلَّ » ولعل هذا الكلام من هذا العالم - هداه الله إلى الصراط المستقيم ، آمين - محض تعصّب وتحزّب ، وإلاّ فلا ندري لما قاله نقلاً ولا عقلاً . ولا يجوز لأحد أن ينكر على أحد بطبعه وفي نفسه أنه أعلم منه ، فيحجب بذلك فيصير علمه جهلاً ، بل اللائق أن يذكر ما عنده إلى من جهله من أمّته لا منتحلاً شرعاً أو طريقاً بنفسه على غيره ، فإنَّ الأقران قلَّ أن ينقادوا لمن طلب الرياسة عليهم ولو بكلام الشارع ، فكيف بغيره من مثل هذا الكلام الذي ليس لها دليل ؟! هذا حاصل ما قاله الشعراني . فمن أراد أن يدرك الحق ، ويطرح غيره فليزِنْ بطريقة المشائخ الذين لم ينقطع سلسلتهم ، فإن وَجَدَه موافقاً فليأخذه وإلاّ فليطرحه . قال الله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية .

قال - سامحه الله تعالى ، وعفى عنه ، وجعله من أهل الذوق والوجدان آمين - : فإن قيل (هل يصير طريقة التبرُّك طريقة التربية ؟) فأقول - وبالله التوفيق- : إن كان المنتسبون إليه مشائخ حقيقين بالاعتقاد التام يصير التبرُّك تربية ، كما وقع الهداية لهذا الفقير من التبرُّك ، وأيّد ذلك التبرُّك بتربية ونظرة الشيخ الحاج موسى حاج ظاهراً ، وأمّا باطناً فمن الشيخ الثغوري ﷺ ، ومن حضرة شيخنا اليراغي أيّداني بهماتهم الروحانية ، رضي الله عنهم وأرضاهم . ولا يعرف هذا إلا أهل الذوق والإيمان به .

أقول - والله أعلم - : قد يصل العبد إلى الله ببركة الصحبة أو الخدمة أو الرابطة من غير سلوك في مقامات الطريقة ، بل بجذبة إلهيَّة ؛ لأنَّ المشائخ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة ، وهم أهل إذا رؤوا ذكر الله ؛ فلا يخلوا من صحبهم أو خدمهم أو

أحبَّهم من لحظات بركاتهم ، لكن الذي لم يسلك في مقامات الطريق ، ولم يعرج إلى معارج الحقيقة بالترتيب والتدريج يقال له مجذوب ، وهو أعمى في الطريق ، ولا يجوز أن يكون دليل الأعمى أعمى في طريقٍ لا يعلم مُهْلكَها من مُسْلَمِها ، فليقف في مقام جذبته ولا يتصدَّر للإرشاد ، ومرَّ مثله فليلاحظه هنا .

ثم إنّي سمعت من الثقات أنَّ هذا العالم قال : إنَّ الرابطة تشبه عبادة الصنم ، ولم يجوِّزْها ؛ فلا أعلم بأيِّ شيء حصل له التربية من الروحانية حتى يصل إلى الله ، ويدَّعي أنَّه أويسيٌّ مع أنّه لا شيء يستفيض به من الروحانيات سوى الرابطة ، والله أعلم بالصواب .

قال - غفر الله ذنبه وستر عيبه - : وقاعدة حضرة شيخنا الثغوري ، كما قاله الشيخ الحاج أُذُنْ السَلْطِيّ : تقيّد الرجل بالنوافل ، وإحكام الفرائض ، واتقان الذكر الظاهر ، وإهمال الذكر الباطن حتى يصير حاله الظاهري وعقلُه غالباً على باطنه ، فحينئذ يُهيِّئ الباطن بالذكر والتوجُّه ، فيبدأ من هناك بداية مريده على سائر نهاية الطرق .

أقول - والله أعلم - : فلا كلام فيما كان الشيخ الثغوري قدس سره يفعله ، فلعلَّه كان اطلع على عدم استعداد الطالبين ولأجله قيَّدهم فيما ذكر ، ومرَّ ما قال خليفته إلياس الزدقاري قدس سره ، فلقد أصاب وصدق قدس سره فيما فعله . فإذا كان كذلك فلِمَ لا يمشي خلفاؤه - لو كانوا صادقين في قولهم إنهم خلفاؤه من بعده - على ما مشى عليه ، ولم نسمع من مريديهم ولو واحداً من حصل له الاستعداد ، ولقن له الذكر القلبي ولو مضى منذ زمن دخولهم في عهدهم أكثر من خمسة عشر سنة ، فهذا مِمَّا يجب أن يتعجب به ، والله أعلم .

الجذبة والسلوك

والجذبة : هي توجُّه القلب إلى جمال ذات الله لذاته وهي بداية هذه الطريقة النقشبندية .

والسلوك : تزكية النفس من الأخلاق الرذيلة وتحليتها بمحاسن الأخلاق ، وهو مَطْوِيّ في معارج الجذبة في هذه الطريقة ، وهو مقدَّم على الجذبة في سائر الطرق ، والجذبة متأخِّرة ، فلهذا يقال : إن بداية النقشبندية نهاية غيرهم ، ونهايتهم لا غاية لها ، كما هو مسطور في كتبهم . وهذه الجذبة قد تحصل لبعض المريدين بتوجُّه واحد من الشيخ الكامل ، وقد لا يحصل إلا بعد زمان ؛ أي : يكون حصولها بحسب استعداد الطالبين سرعة وبطأ ، ولا يشترط أن تحصل دفعة واحدة كما يأتي إن شاء الله . ولم نر في واحد من مريدي أستاذنا قدس سره من لم يحصل له أثر الجذبة في مُدّة شهر ؛ فلله الحمد والمِنَّة .

فلعلَّكم أيها الأخ ترون حصول الجذبة في البداية شيئاً غريباً ، أو لم تدركوا حقيقة الجذبة وماهيَّته ، فالذي يفعله هؤلاء الطائفة أن يذيق الشيخ للمريد شيئاً من أحوال الجذبة الإلهية ليكون المريد على نشاط ، ثم إن كان المريد مستعدّاً لقبول ما أُلقي إليه من تلك الجذبة يلقيها الشيخ إليه ، ويتصرَّف في باطنه ويمدُّه بمدده ، بل رأينا في مريدي شيخنا العسلي قدس سره من حَيِيَتْ لطائفُه كلُّها بتوجُّه واحد ، وليس الشرط في هذه الطريقة وقوعَ الجذبة التي هو نهاية الطرق في الابتداء دفعة واحدة ، بل الجذبة تقع تدريجاً مع تعاقب القبض والبسط إلى أن يصير القلب إلى حدّ لو تكلَّف بإخطار غيره تعالى لا يخطر ، صيرورته هكذا هي نهاية الجذبة ، فافهمْ .

مطالب مهمة

وأما قواعد مشائخ هذه الطريقة النقشبندية وأسلافِهم أن يقيِّدوا مريديهم في الذكر الذي لقن لهم ، وأن لا يتركوهم أن ينتقلوا إلى غيره ، لأنَّ الصلاة وظيفة المنتهين ، وقراءة القرآن وظيفة المتوسِّطين ، والذكر وظيفة المبتدئين إلى أن يَصِلُوا إلى المراقبة المعية ، وبعد ذلك يجوِّزون لهم ذكر اللسان وقراءة القرآن وإقامة الصلوات النافلات . فمن أراد التحقيق فليراجع إلى « الدرة البيضاء » و« النفائس السانحات » و« المواهب البريقة » وغيرها من كتب النقشبندية .

قال - هداه الله تعالى إلى ما فيه رضاء الله تعالى آمين - : قوله (خصوصاً لجرِّ الأغنياء لمجرَّد غناهم ، أو لتكثير سواد مريديهم ليشتهر بهم اسْمهم فيما بين الناس ، وأكثرهم يَزْعُمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل ، وليس في أيديهم صكُّ الإجازة المقبولة ، بل ليس أشياخهم في دعواهم سالكين) . وأمَّا حمل عقول الأغنياء بلا تواضع لهم إليهم لمنعهم من تألّفهم الفساقَ وركونهم إلى الظلمة ، فهو محمود غير مذموم .

أقول - والله أعلم بالصواب - : نعم ، يا أخي لكنَّ اللائق بأمثالنا الضعفاء أن نجتهد اجتهاداً بليغاً لنتفحَّص في قلوبنا هل فيها دسيسة خفيَّة تميل إلى الأغنياء سوى قصد إرشادهم إلى الخير وإرادة إنجائهم من الركون إلى الفسقة والظلمة ؛ لأن النفس قد تحبُّ بطبعها كلَّ مَنْ أَحْسَنَ إليها قهراً واضطراراً ، ولذا قيل : **جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها** ، وقيل : **الإحسان يستعبد الإنسان** (١) .

ومعلوم أنه لا يغوي الشيطان أحداً إلا بأشياء ؛ ظاهرها مقبول وفي باطنها غرور وتلبيس . فاللائق على من يريد صحبة الأغنياء ، ويسلكهم

في سلك مريديهم أن يزِن قصده بهذا الميزان ؛ لو كان ينشرح صدره بإقبال الأغنياء إليه أكثر من إقبال المساكين والفقراء فقصده معلول ، ودعوته مشوبة بشائبة الأغراض ، وإلاَّ فلا ، فليتدبَّره العاقل .

وقد قال الإمام الغوث الأعظم خالد شاه قدس سره : إنَّ أحبَّكم إليَّ أقلُّكم أتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا . انتهى . ولا ينجو منها إلا واحد من ألف . كذا في « البريقة » من عبارته .

وفيه : وعن أبي الدرداء : لأن أقع من قصر فأتحطّم أحبَّ إليَّ من الغنى ؛ لأني سمعت منه عليه السلام « إياكم ومجالسة الموتى ؛ يعني : الأغنياء . انتهى من عبارته . ولا يخفى أنَّ للصحبة تأثيراً عظيماً ، والأحوال سارية والطبيعة سارقة ، ولا ينجو من صحب الأغنياء وأرباب التنعُّم من الميل إليهم والتواضع لهم ، إلا الكمَّل من الأولياء الذين إقبال الدنيا وإدبارها عندهم سِيَّان . وفي الحديث « من تواضع لغني لِغِناه فقد ذهب ثلثا دينه » .

إن صحبة الأغنياء وأرباب التنعُّم سم قاتل

وفي « النفائس السانحات » : إن صحبة الأغنياء وأرباب التنعم سمٌّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدُّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على وجه القلب ، أما ترى كيف وصى رسول الله ﷺ محبوبته أمّ المؤمنين سيدنا عائشة الصديقة رضي الله عنها وعن أبويها حيث قال « إيّاكِ ومجالسة الأغنياء ، وأحبِّي المساكين وقرِّبيهم » . انتهى .

فتبيَّن وتحقَّق بهذه المذكورات أنه لم يبق وجه وعلة إلى الميل لتكثير السواد بالأغنياء إلا الطمع وحبُّ الشهرة والرياسة وأكل الدنيا

بالدين . فافهمه ولا يخدعنَّك الشيطان بخفايا غروره فإنه قطع أعناق كثير من العباد ، وأرْداهم في المهالك والمقاطع . فالعياذ بالله . لكن إن ضنبوا الدخول في الطريقة ، وأرادوا الانتساب إلى النسبة العلية لا يجوز للشيخ أن يطردهم آئسين ، بل يسلكهم فيها ويربِّيهم بالجمال . فحاشا في الأغنياء وأرباب التنعم من يقبل التربية بالجلال . ولا ينبغي أن يمنعهم من تألفهم في اللذائذ والمفارش ، وتنعمهم في المطاعم والملابس . بل يداريهم بالأقوال والأفعال ويحسن معهم الأخلاق ويرغبهم إلى الإعراض عن الدنيا تدريجاً ، وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري ﷺ « ليذكرنَّ الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدة يدخلون الدرجات العلى » الحديث . ربنا أخْرِجْ من قلوبنا حبَّ الدنيا وزينتها . ولا تجعل أكثر هَمِّنا في تدبير جمعها آمين .

قال - رزقه الله الجنة المعجلة آمين - : بل لو لم يكن القائل أرادهما لما قدر الالتجاء كتبة[1] هذه المزخرفة .

أقول - والله اعلم - : نعم أيها الأخ ، هذا قول صادق لا غبار فيه ، وجدْتُ نفسي تميل إلى الدنيا وأهلها ، ولا تحبّ إلا من ينفعها ويمدحها ، وتكره من يذمُّها ويضرُّها ، لكنَّ الله تعالى وفَّقني بالاطلاع إلى كون النفس متَّصفة بالصفات الرديئات والأخلاق الرذيلات ، فلعله سبحانه وتعالى أن يسوق إلى دائرة : ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، وتلك مسكن المطمئنة ومرجع مقامات السالكين . وذلك الاطلاع نعمة عظمى ومِنَّةٌ كبرى يجب عليها الشكر دائماً ؛ لأنّي لو لم أكن عارفاً بتلك الذمائم لما شمَّرت الذيل إلى إزالتها ، ومن لم يعرف النجاسة لا يستعمل الطهارة ، والله ولي التوفيق .

---

(١) علَّه : لمّا قدر الالتجاء إلى كتبة . . إلخ .

يا أخي ، أنا معترف دائماً [بأني] من جملة الفَسَقَةِ الفَجَرَةِ ، أنا كذلك ، أنا دونكم ، أنا طالب بركاتكم وبركات أمثالكم ، والمرجوُّ منكم أيها الأخ أن لا تبخَلوا لهذا الفقير العاجز عن أداء الحقوق الربوبية بصدقات دعواتكم ، وفضلات تضرُّعاتكم ، فعلى المستقيم أن يقيم المعوج ولو بالتضرع بالدعاء إلى الله ، وأرجوا من ساداتنا النقشبندية أن يلاحظوني بنظراتهم ، ويعتبروني بهمَّاتهم ؛ لتصديقي طريقتهم ، وإعانتي لإماتة البدع والشبه الواقعة فيها باختيار أهل الدعوى ، فإن لم أكن أهلاً للسلوك في دائرتهم فلي عزم على محبتهم ، فالحمد لله على ذلك .

وقد قيل : إن المقصّر في سلك المحبين مقبول . وقيل أيضاً : التصديق بطريق الولاية ولاية .

وقال الشيخ الصقلي رحمه الله في كتابه المسمى بـ « أنوار القلوب في العلم الموهوب » : **كل من صدّق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبّر عنه وتكمّل منه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا يترك** . انتهى . وأقلُّ ما فينا محبتهم ومحبة من استقام في دائرتهم ، وتلك أدنى الدرجات . قال عليه السلام : « من أحبّ قوماً حُشر معهم » . وقال أيضاً : « المرء مع من أحبَّ » ، و« من تشبَّه بقوم فهو منهم » .

وقال الجنيد ﷺ : التصديق بعلمنا هذا ولاية . انتهى . وقال أبو يزيد : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقلْ له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة .

فالحاصل : أنهم قوم لا يشقى جليسهم ، ولقد أكرم الله سبحانه وأعزَّ كلباً بمجرَّد سيره مع من وحَّده تعالى بخطوات ، ولعلّي يسلك الله بي بما سلك بذلك الكلب بفضله وكرمه ، إنه هو البَرُّ الرحيم . ومن عجز عن أن يقف في صف القتال فهو معدود من جملة المجاهدين .

قال – نفع الله به العباد – : وأما الزعم بالمشيخة مع عدم السلوك من كامل فليس هو شيخ التربية ، بل هو شيخ التبرك ، ولا مانع .

أقول – والله أعلم – : بل له مانع عظيم ؛ لأنهم قالوا : لا يجوز لأحد التصدُّر والجلوس لإرشاد المريدين ، وتلقين الأذكار إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته في الطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن بما كان عليه مشائخه من أذكار السلوك المعنعنة ، وأجمعوا على أنَّ من لم يصلح له نسب إلى القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ، بل عدُّوه مِنْ وُلْد الزنا ، كما في « روح البيان » وغيره .

وقالوا أيضاً : إنّ السرّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله عليه السلام ، فمن لم يكن سالكاً في سلسلتهم من شيخ كامل فهو غير معدود منهم ، ولا يجيبه أحد منهم ، ولا يحرّك السلسلة ، ولا يصل إليه نور النسبة الحاجبة من الشيطان ، فيتشيَّخ له ولمن لقنه الشيطان ويهلكهما جميعاً من حيث لا يشعرون . فهذه حاصل ما قاله الشعراني في غير كتاب واحد .

وقد عُلم مما مرَّ أنه لا فرق بين التلقين للتبرك والتلقين للتربية لمن ليس أهلاً له ، وأنَّ من تصدَّر للإرشاد قائلاً : إنه شيخ التبرك ، ولم يمش على ما مشى عليه أشياخه ، ولم يكن بيده إذن صريحٌ ساقطٌ من درجة الإرشاد ، وممنوع عن مقام الدعوة ، فالعياذ بالله من ذلك .

قال – جزاه الله عنا خيراً – : وأما صكُّ الإجازة المقبولة فهو علامة لصلاحية الإرشاد لا لكونه مربِّياً .

أقول – والله اعلم – : **صكُّ الإجازة** هو : مكتوب كتب الشيخ للمريد برخصة التلقين وإذن الإرشاد ببيان أهليَّته لذلك ، ليعلم الناس أنه أهل له ، وليكون ذلك الصكّ شاهداً ومصدقاً لصلاحية المريد لذلك[1] . ومن لم يكن بيده ذلك الصك المقبول لتلقين أذكار السلوك ، ودعوة

(١) أي : للإرشاد .

الخلق إلى الله شاهدان عادلان فهو غير مقبول عند علماء الظاهر والباطن بلا خلاف بيْنهم .

قال - أعاذه الله من فتن الدارين آمين - : ولهذا لا يعتبر المشائخ الثغراوية الإجازة الظاهرة .

أقول - والله اعلم - : فإذا لم يعتبروا الإجازة الظاهرة فلا يجوز لهم أن يلقّنوا ذكراً وأن يُرْشدوا شخصاً ، فهذا القول من أغرب المسموعات وأدلّ الدلائل على عدم أهليّتهم للإرشاد ؛ لأنه إذا لم توجد عندهم الإجازة الظاهرة فمن أين يعلم أنهم مرشدون ، وبأيّ تصديق يتَّبعهم المريدون ويعتقدونهم ، ولو جاز لأحد أن يتشيَّخ بلا إذن ظاهر صريح مقبول لادَّعَى أكثرُ الخلق مقام الإرشاد ، بل الأكثر يتشيَّخون ويغشُّون ، حتى وجدنا واحداً منهم لا يعلم أن يفرق اللحن الجلي في القراءة من الصواب ولو في آية ، بل أخبرنا واحد من الثقات على وجه الأرض أنّ اسقاطه آيات الفاتحة عند القراءة معلوم بالتواتر ، كيف لا ؟ ! وهو أميٌّ جاهل تصدَّر وتشيَّخ . وقد قال لي سيف الله الحسيني قدس سره : لم أجد أحداً ألعب بالطريق من هذا . انتهى . ومع هذا يظنُّ الناس فيه ويعتقدون أنه القطب الأعظم ، عياذاً بالله عن هذه الاختراعات والافتراءات ؛ فلا عيب على الجهال إنما العيب على العلماء لا يفرِّقون الحق من الباطل ، ولا يجتهدون لإظهار الخالص من المغشوش .

ولقد سمعتم يا إخواني كلامَ هذا العالم الذي كتب الردودات على كتابي مع أنّي شيَّدْتها بالنصوصات ، فالخير في هذا الزمان الذي أُفشي فيه البدع أن يعتزل في البراري ولا يخالط مع هؤلاء المجادلين بلا دليل يدلّ على تصديق أقوالهم وأفعالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . قال الله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ الآية . وقد بسطت الكلام في حق هؤلاء في كتابي « الدرة البيضاء » فعلى من أراد أن يُفرِّق الحق من الباطل أن يطالعه .

قال – رحمة الله عليه رحمة واسعة –: لكون الإجازة الظاهرة مفسدة للمريد الواصل إلى المطمئنة، بسبب أنه لا يقدر حفظ قلبه من العجب والكبر والسمعة والشهوة؛ لأنه في قيد الرجولية الذي أقرب إلى الطفولية فيرجع النفس إلى المؤتلف قَبْلُ سريعاً.

أقول – والله اعلم –: فقد علم مما مرَّ آنفاً أن الإجازة الغير الظاهرة لا تقبل، وأنتم حكمتم بأنَّ الإجازة الظاهرة مفسدة للمريد فأي إجازة مقبولة غيرها؟! فإذا فسد الطالب الذي أجازه الشيخ الكامل إجازة ظاهرة وشهد له بأهليَّته، ففساد من ليست بيده الإجازة المذكورة، ومع ذلك تصدَّر هو بنفسه للإرشاد والتلقين مشهورٌ غير خفي لدى من له أدنى إدراك.

ولقد قالوا: إنَّ الشيخ لا يكون غشاشاً للمريد، إن كان يَصْلُحُ للإرشاد يأذن له، وإلا فيتركه على ما عليه من مقامه، فكيف؟! وقد قال عليه السلام «من غشَّنا فليس منَّا». فلو كان الشيخ الكامل يُرخِّص للمريد في مقام يفسد فيه فيكون الشيخ غير ناصح له، مع أنه ربى ذلك المريد بتعب شديد ونكَدٍ قويٍّ إلى أن يصل إلى ذلك المقام، وهل بعد ذلك يُفسِدُه الشيخ ويهلكه؟! لا والله، بل يُمدُّ بمدده أَكْثَرَ ممَّا قبل ذلك، ويجتهد لتحذيره من الشيطان، فإن وقع الطالب في مهلكة فالشيخ يجرُّه إلى موضع السلامة، فافهم فإنه مهمٌّ.

قال – أدخله الله الجنة مع الحور والغلمان آمين –: وإنما يجب بعد الإجازة الاجتهاد والخوف والندم وعدم رؤية النفس.

أقول – والله أعلم –: ومن يعلم ما وقع لإبليس بعد تلك العبادات في تلك المدة الكثيرة حتى روي: أنه عَبَدَ الله ثمانين ألف سنة، ثم بعد ذلك طرده الله عن بابه لمجرّد قوله عليه اللعنة: أنا خير منه، فهو جدير أن

يخاف من السلب ولو رقي إلى مقامات العرفان. اللهم لا تطردنا مع أحد عن بابك يا ذا العظمة والجلال. وأَفِضْ على قلوبنا من فيوضات معرفتك وإمدادات مخافتك يا من يغفر الذنوب جميعاً. آمين، اللهم آمين.

قال – رزقه الله وإيانا الخوف الحقيقي آمين –: ثم بعد ذلك يصير يطلب قواعد التربية من شيخه وسائر المشائخ، فإن عرف وأراد الله له إرشاد الخلق ورجوع الخلق إليه...

أقول – والله أعلم بمراد هذا القائل من هذا الكلام –: قد فهم من هذه العبارة أن بعد الإجازة يصحُّ للطالب أن يرشد الخلق إلى الحق. ومرَّ من القائل أنَّ الإجازة الظاهرة لا تعتبر، فيتعارض كلاماه، وليس في قوله غير سوى التعارض، فافهم.

قال رحمه الله. كما قال في إبريز الذهب : إن كان الشيخ قد ظهر من قبل نفسه فلا يقدر تربية المريدين بتوفيق إلهي، وإن كان قد أظهره الله لا من قبل نفسه فيكون التوفيق رفيقَهُ.

أقول – والله وليُّ التوفيق –: هذا الكلام حجة على القائل لا له؛ لأنه قال فيما قَبْلُ: إن المشيخة مع عدم السلوك من كامل للتبرُّك، لا مانع منه. وكذا قال فيما مرَّ قبيله: إنَّ التلقين يجوز من عالم أو وليٍّ أو شيخ.. إلخ، فليعتبره الناظر.

قال رحمه الله: وأما عدم السلوك فلا يمنع التبرك من المشائخ.

أقول: والله أعلم: إن كان التلقين من المشائخ بأذكار السلوك التي وصل إليهم من مشائخهم معنعناً، وكانوا مأذونين إذناً صحيحاً فيجوز، وإلا فلا، ولا يصير ذلك التلقين مباركاً، بل نحساً (١) ومهلكاً، كما مرّ في غير موضعٍ واحدٍ مع دلائل.

قال - هداه الله إلى الحقّ - : ولكن آفة التبرُّك بالتقييد به بأنه هو شيخه ومربيه أكثرُ في هذا الزمان ، ولا يقدرون انفكاك عقولهم إلى شيخ آخَر ، فيقعون في ورطة ، ولا إلى طلب علم وحق من عالم ، ففي هنا هوى المشائخ والمريدين كلِّهم في ديارنا .

أقول - والله ولي التوفيق - : يا أخي أرى في كلامك خلطاً ، فأنت نقضت بكلامك هذا جميع ما قلته فيما قَبْلُ ، فليتدبّره الناظر المنصف المحقُّ .

قال - غفر الله ذنبه وستر عيبه آمين - : بل القائل يظنُّ أنّه شيخ التربية ، كلاَّ ثمّ كلاَّ ! ! سوف تعلمون ، لو تعلمون الحق والصواب ما تبعتم وما قلتم الباطل ، ولكنّ النفس حَمَلَهُ على التكبُّر على الأقران .

أقول - والله المستعان - : يا أخي لا أظنّ ذلك قطّ ، بل لا أرى أني في مقام مريد ، لكن لما كان بيدي إجازةٌ صحيحةٌ من طرف أشياخي للتصدُّر للإرشاد والتلقين ، ولا بدّ لي من امْتثال أمرهم أرْجوا أن يكون يدي يدَهُمْ وتربيتي تربيَتَهُمْ ، فإنّهم قالوا : إنّ الناقص إذا كان مأذوناً من الكامل فإنَّ يدَه يدُ الكامل وتربيته تربيته . راجع المكتوبات للإمام الرباني قدس سره و« البهجة » و« الرسالة المدَنية » ومكتوبات محمود الفعال .

وأما التكبُّر على الأقران واتباع الباطل والقول به فهي ممّا لم أكن أدركتها في نفسي إلى الآن ، ولم يكن قصدي في تأليف كتابي « الدرة البيضاء » إلا إماتة البدعة وإظهار الحق،والله يَعْلمُ ذلك مني ، فإن وجدتَهما بعد الآن بالتفتيش والتفحُّص التام فلعلَّ الله تعالى يوفِّقني على إزالتهما ، وأرجوا من جنابكم أيها الأخ الدعاء .

قال - هداه الله إلى الحق - : قوله (ولا مأذونين من شيخهم بيقين ، لكنّهم تصدروا للإرشاد بأنفسهم) . واعلم أنّ الإذن اليقينيَّ للمشيخة هو

أمر إلهيّ وإذنٌ أزليّ ، ولا يصير المريد وإن كان متبحّراً في العلوم العقلية والنقلية شيخاً مرشداً بإكمال التلقينات والألطاف والمراقبات ما لم ينعكس إليه أسرار شيخه ، كما قاله الإمام الرباني ﷺ ، وليس كل من عنده إذن يقينيّ من شيخه مرشداً مَرَبيّاً كما لم يكن الشيخ الحاج أحمد الثغوري ﷺ ، مع أنه كان مأذوناً من شيخه جمال الليل إذناً يقينيّاً ، وليس كلُّ من ليس عنده إذن ظاهر من شيخه غير مرشد ومربّ ، لما كان شيخنا العارف بالله أبو الكوثر الحاج عبد الرحمن الثغوري ﷺ مرشداً مربّياً مطلقاً مأذوناً من قِبَل المشائخ . وقد قال لي السالك رمضان البختي - ﷺ وروحي فداه - الذي لا يخطىء فراستُه حين قلت له : ألم يكن إذن من الشيخ جمال الدين للشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري ﷺ ؟ فقال : والله يا ولدي لا أعلم ولكن الشيخ الغازي جمال الدين في الحال راض عنه . انتهى . وليس الإذن إلا إطلاق قلوب المشائخ إليه ، فبسبب دعوة الشيخ الحاج عبد الرحمن بالتضرُّع والابتهال للشيخ جمال الدين وأولاده دائماً أطلق قلبُه عن القيود في حقِّه ظاهراً وباطناً .

أقول - والله أعلم - : يفهم من هذا الكلام أنَّ من أطلق إليه قلوب المشائخ فهو الجائز للمشيخة على الإطلاق ، أذن له المشائخ أم لا ؟! فليس كذلك ، بل الإذن الإلهي لا يظهر إلا من طرف أفواه المشاخ ، ولا يقبل من أحد قولاً ولا دَعْوَى إلا ممَّن بيده الإجازة الصحيحة بشهادة شرعيَّة ، فلو قُبِلَ لادّعى كلُّ واحد أنّ له إذناً إلهيّاً ، وأن قلوب المشائخ ناظرون إليه ، وهذا ممَّا لا يقبَلُه عقل ولا نقل . فإن لم يكن من عنده إذنٌ يقينيٌّ مرشداً مربّياً فعدم كون من تصدَّر بنفسه بلا إذنٍ مرشداً مربِّياً يعلم بالطريق الأولى . فهذا كلام لا طائل فيه سوى كثرة القيل والقال . وقد عُلم في غير موضع فسادُ هذا القول بالنصوصات والنقولات فلا نعيده ، **بل الحق اليقين أنَّ الشيخ لا يأذن للطالب ولا يرخصه إلا بأمر إلهيّ ، فإذا تحقَّق أهليته لذلك ، وأتى من الله الإذن رخَّص له ، وأذن له ، وألقى**

إليه أسراره بقدر ما يُطِيق حملَها ، وينصبغ باطنُه بصبغ المعارف الإلهية وينعكس إليه الأنوار الربانية ويُعَلِّمْه طريقَ الانصباب والانعكاس .

وأما إلقاء أسرار الشيخ كلّها إلى المريد ، فلا يجوز ذلك حين حياة الشيخ ؛ لأنَّ المريدَ لا يطيق حملها . راجع « الذهب الإبريز » و « ترصيع الجواهر » ، عجباً من هذا العالم يدَّعي أنه منتسبٌ إلى الشيخ الثغوري قدس سره ، وأنه أويسيّ حصل له التربية من روحانيته ، ومع ذلك لا يعلم من أين كان الإذن للشيخ الثغوري فيا خجالة من قال برأيه وحرَّف الكلم من مواضعه . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات قبائح أعمالنا وأقوالنا ، إنه هو الغفور الرحيم ، آمين اللهم آمين .

قال – عصمه الله ممّا فيه مقته آمين – : ولقد قال لي شيخنا الحاج موسى حاج : إنّ ما يفعله أبو أحمد الثغوري ﷺ في « دَرْغه » من التقدّم للإمامة على الغازي جمال الدين هو شيء مشروع ، إلى آخر ما قاله من ذلك الحكاية التي لا فائدة فيه .

أقول : قال عليه السلام « كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكلّ ما سمع » ، فليس في إيراد هذه الحكاية نفعاً ما سوى كثرة الكلام ، ولا كلام لي مع ذلك الشيخ الثغوري قدس سره ، ولم أورد في حقّه في المحافل والمجامع ولو كلمة واحدة فيها رائحة سوء الأدب معه ، وقد مرَّ في هذا الكتاب أن تلقينه وإرشاده كان موافقاً لما عليه السادات النقشبندية ، لكنَّ الوشاة أفشوا مني نميماتٍ مع أني عنه بريء ، ولقد شكرت على ذلك لأني استحققت الأجر على كلّ حال ، فإني عفوت عنهم إكراماً لنبيِّهم عليه السلام ، فلي أجر العفو ؛ قال الله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية ، وإن لم أعف عنهم – وهو اللائق بأهل النميمة – فجميع حسناتهم ينتقل إلى صحائفي وأقتصُّ منهم يوم القيامة .

قال أبو سعيد الخادمي في « البريقة » : إنّ الباعث على النميمة إمّا إرادة السوء بالمحكيّ عنه ، أو إظهار الحب للمحكي له ، أو التفرُّج بالحديث والخوض في الفضول . انتهى من عبارته .

فها أنا أعظ لمن يسعى بالنميمة كي لا يَرْتكب مثل هذه بعد الآن :

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ . وفي الحديث « لا يدخل الجنة قتات » ؛ أي : نمَّام . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ﷺ « من مشى بين اثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة » ، وعن معاذ ﷺ « إنّ النمامين يحشرون يوم القيامة على صورة القردة » ، وفي« الجامع » : النميمة والشيتمة والحميّة في النار ، لا يجتمعن في صدر مؤمن . عن العلاء بن الحارث ﷺ إن رسول الله ﷺ قال « الهمَّازون واللمَّازون : المشاؤون بالنميمة الباغون (١) البُراءَ يحشرهم الله في وجوه الكلاب » ، وعن بعض : **عمل النمام أضرّ من عمل الشيطان .** انتهى من « بريقة » عبارته .

مطلب مهم وَهمَ عَنْهُ غافِلُون

فلو تاب من نمَّ عنِّي وأفشاه بين الورى فأَعْفُو عَنْه وإلا فلا ؛ لأنَّ إعانة المصرّ على المعصية معصية . اللهم لا تؤاخذْنا إن نسينا أو أخطأنا ، ولا تجعلنا سبباً لعقوبة الناس لحرمة نبيِّنا عليه الصلاة والسلام ، آمين .

قال - عفى الله عنه - : قوله (وزعم بعضهم : أن مشيخته من النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه عليه السلام بلا واسطة) . وفي « إبريز الذهب » : إنّ لرؤية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ثلاث درجات ؛ الأول : في منام والثاني : في الخيال ، والثالث : بالبصر . ولا يصحّ إنكار لمن يقوله ويسلّمه تسليماً . وقد أخبرني الشيخ حاج أحمد الهخالي ﷺ أنه

سأل الشيخ المتصرّف من البدلاء عند ملاقاته لدى الشيخ موسى الأرفلي ﷺ أن ولداً يجيئ إلينا بأنه أمر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام هكذا وهكذا ، هل يجب العمل به أم لا ؟ فقال الشيخ من البدلاء ﷺ : إنّ ذلك القائل يجب أن يعمل به ولكن لا يجب الأغيار العملُ به .

وفي كتاب « تنبيه المغترين » للإمام الشعراني ﷺ ما مفهومه : هل يجوز الاقتداء لمن يأخذ عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام؟ فقال : يجوز ويكون المقتدي مقلّداً ؛ فبناء على هذه النصوص لا يصح منع مقلّد هذا القائل إلا إن كان ظاهرُ أحواله مصرّاً على الكبائر .

أقول - والله أعلم - : لا أقول قط يا أخي إن رؤية النبي عليه السلام والأخذ عنه غير جائزة ، لكن الذي أقوله كما قال ابن حجر في « الفتاوى والشعراني في « المنن » : إن مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز ، لا يناله كلُّ أحد .

قال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمهاتها مائة ألف مقام ، وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلِّها فلا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى من عبارته . فحينئذ وجب الإنكار على من لم يضع قدمه في أول مقام من مقامات السلوك ، ومع ذلك يدَّعي أن شيخه هو النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه بلا واسطة ، وغرَّ الناس بهذه الأقوال .

نعم ؛ نصدّقه إن علم المقام الأوّل من تلك المقامات ، ولا نسأله مقاماً فوقه ، ولو كان هذا المدعي صادقاً في دعوى الأخذ عن النبي ، لما قال : إنّ أخذ الطريقة لا يجوز ، مع أنّه فرض عين على كل من ليس

له قلب سليم ، كما هو مبيَّن في موضعه ، فافهمه وراجع « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » .

قال - نفع الله به العباد - : قوله (وبعضهم : أن روحنية الكامل أذن له في المنام) ، هذا الإذن لا يكون إذناً مطلقاً ، بل يصحُّ أن يكون استعداداً ولكن أخبرني أخونا القاضي محمد الغازي الغموقي أن رجلاً هخالياً تقياً ذهب إلى الشيخ محمد ذاكر وقال : إني رأيت شيخنا محمود أفندي في المنام يأمرك ويقول لك : أعط الخلافة لي . فقال الشيخ محمد ذاكر : فلو رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ما أعطي لك ، لأنَّ الهرة يرى في المنام الفأرة ، هذا ؛ إنَّ هذا الإذن لا يعتبر .

أقول - وبالله التوفيق - : نعم نعم ، صَدَقْتَ وأصبتَ وبالحق نطقتَ ، قال الإمام معصوم في مكتوباته ما حاصله : حرّر أنَّ من أَذِنَ له شيخه في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين ، وأرواحُ السادات الماضية ظاهرون حاضِرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقينُ الذكر وتربية المريدين ؟ **فالجواب** : إنّ الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيمٌ لا تثبت بالواقعة ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى . وهكذا في مكتوبات قطب الأنام محمود أفندي قدس سره ، وما قاله الشيخ محمد ذاكر الچسطاوي القزاني قدس سره يُؤَيِّدُ ذلك .

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في « الفتاوى » عند بيان قول الصوفيّة (إنَّ الله يلهمهم في بواطنهم شيئاً وينسبونه إلى الله) : وخالفهم الفقهاء والأصوليّون فيه ، لا لإنكار من أصله ، كيف ؟ ! والحديث الصحيح « إنّ في أمّتي محدّثون أو ملهمون ومنهم عمر ﷺ » ، بل لئلا يدّعيه ويحتجّ به من ليس من أهله ، ولأنه لا ثقة بخواطر غيرِ المعصوم ، فربّما يخطر له في حديث نفسه أنه إلهام وزيّن الشيطان ذلك بمخايل يظهرها له ، فيظنّ

صدّقها فيعتقد حقيّة ذلك الوارد ، وفي الحقيقة ليس هو وارد حقّ ، وإنما هو حديث النفس وخاطر شيطاني ، حمله عليه عدم جريانه على قوانين الاستقامة والقيام بالعبوديّة على وجهها الأكمل .

فلَمَا كان للنفس والهوى والشيطان دخْلٌ في تزيين ذلك والتلبيس فيه رَأى الفقهاءُ والأصوليُّون أن المصلحة للناس المتكفّلة بسلامتهم من تغرير الشيطان والوقوع في هفوة الطغيان قَطْعُهُمْ عن الاحتجاج بالإلهامات ، وأن ذلك باب يجب سدُّه على الناس لئلاً يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يحصى . انتهى كلام ابن حجر . وهو يؤيِّد ما قلناه .

قال - نفع الله به المسلمين أمين - : قوله (وبعضهم يقول : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كلّ أحد ، وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع يجوز ، ولا مانع منه) .

فهذا لا يمنعه الشرع الشريف إن كان أمره ونهيه وتعليم أمور الشرع لله بلا هوى النفس والتعصُّب .

أقول - والله ولي الهداية والتوفيق - : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء عظيم ، وأمرٌ عزيزٌ ، وللقائم بهما أجرٌ جزيلٌ ، كيف لا ؟ ! وفي الحديث « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ » ، لكن تلقين الأذكار وتعليم الطريقة لا يجوّزونهما إلا لمن سلك في الطريق ، ومشى فيه بقطع المقامات ، وعلم المهالك والمقاطع وكيفية الاحتراز منها ، ثم أذن له شيخه الكامل إذناً صحيحاً بأن يرشد الخلق ويلقِّن الذكر على ما كان عليه المشائخ الكاملون ، وذلك لسرٍّ مرَّ ذكره مراراً . ومن سلك في الطريق من غير شيخ بصير تاهَ ، وقَطع عمره ولم يصل إلى مقصوده ؛ لأنّ مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة كذا في المنن الكبرى » . ولا بد لمن أراد التحقيق أن يرجع إلى كتابنا « الدرة البيضاء » ، و« الذهب الإبريز » و« ترصيع الجواهر » .

قال – هداه الله إلى الحق وجعله من أهل التحقيق –: قوله (وسمعنا أنَّ بعضهم يقول: إنَّ تلقين الذكر القلبيِّ على قاعدة النقشبندية حرام للعوام، ولا يجوّز ذلك إلا لمن صارت نفسه مطمئنة، ويكفي الذكر اللساني للعوام، ولا يجوِّزون لأحد الدخول في الطريقة إلاّ له، ومع ذلك يلقِّن هو للمريدين الأذكار اللسانيّة، ويسمّيها شريعة، ويسمّي الذكر القلبيّ طريقة، ويمنعه).

والذكر القلبيُّ حرام لمن له نفس أمارة، فأيُّ رجل خرج من الأمارة، فمتى يدخل في النفس اللوامة؟!

أقول – والله أعلم –: عجباً من قولكم هذا أيها الأخ، مع قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية، لأنه لم يقل يا أيها الصالحون، بل عمَّ الصالح والطالح من المؤمنين، وعمَّ ذكر اللسان وذكر القلب. وقال الفقهاء في كتبهم: إذا عطس الرجل في موضع النجاسة حمد الله بقلبه ويثاب عليه، وكذا إذا سمع الأذان أجاب بقلبه، وكذا إذا توضَّأ في ميضاءة نجسة أتى أذكار الوضوء بقلبه، ولم يخصّصوا ذلك بمن ليس له نفس أمارة. وذكر في «فتاوى العمرية» وغيره: إنَّ ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه، كما قيل: الفكر ذكر القلب. انتهى من عبارته.

الدلائل على جواز تلقين الذكر القلبي

ووردت الأحاديث في فضيلة التفكُّر، منها: ما رواه أبو الشيخ «فكر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة»، ولا يخفى أنّ مجرّد حركة اللسان بلا تفكر ولا تدبُّر قليل الجدوى.

فالحاصل إن الأئمة المجتهدين والعلماء المقلِّدين لم يقولوا إنَّ الذكر القلبي حرام لمن له نفس أمارة، ولم نصادف من يقول به وإن تفحَّصنا؛ ولو في كتاب واحد. **والقول بتحريم ما أحلَّه الله تعالى كفرٌ**.

قال صاحب الفتوحات على الجلالين : من اعتقد تحريم شيء أحلّه الله فقد كفر . انتهى من عبارته .

ومن أدّل الدلائل على جواز تلقين الذكر القلبي لمن له نفس أمارة قولهم : فمن يستعدُّ لتقديم الجذبة على السلوك فله اسم الذات ، ومن يستعدُّ لتقديم السلوك فله النفي والإثبات ، وكلاهما بالقلب . انتهى . والسلوك في اصطلاحهم تزكية النفس عن أخلاقها الرذيلة الآمرة بالسوء ، وتخليصها عن القيود العنصرية والتعلقات الكونية بالرياضات والمجاهدات .

فلو كان الذكر القلبي حراماً لمن له نفس أمارة لكان الواجب عليهم أن يقولوا : ومن يستعدُّ لتقديم السلوك فله النفي والإثبات باللسان . وفي تصديق المعارف في قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سورة العنكبوت ؛ أي : أكبر في نفي الكبر والخيلاء ، ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها . وذلك مجرَّب عند المشائخ ، ولا سيَّما ذكر بكلمة (لا إله إلا الله) ، فإني جرَّبتها فوجدتها شيئاً عظيماً ، ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها تنقلب كانقلاب الطير من قبضة الصياد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة . فافهم انتهى من عبارته . والاستشهاد في عموم قوله : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ ، فإنه إذا أطلق الذكر يعمُّ الذكر باللسان والذكر بالقلب ، فتدبره . وفي « هدية الذاكرين » ما ينبغي أن يلاحظ هنا ، وسيأتي إن شاء الله تعالى .

وفي الفتاوى العمرية » :

قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ، والذكر الكثير ليس بالعدد ، بل بالحضور وعدم نسيان الله تعالى على كلِّ حال . انتهى من عبارته . وهكذا في تفسير « سُلَمي » قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية .

وفي « الباقيات الصالحات » ما حاصله : إن السيد أمير الكلال كان يخالط أهل البدعة والفساق ويشتغل بالمصارعة ، فيوماً من الأيام نظر إليه محمد بابا وهو في المعركة بين أصحابه ، فوقع إليه نظر الأمير الكلال وجذبته جاذبةُ نَظْرَة محمد بابا مما كان فيه ، فلما ذهب[1] ترك الأمير معركته من غير اختيار وتوجّه من عقبه ، ولما وصل محمد بابا إلى بيته وأدركه الأمير من عقبه أدخله في محلّه وعلّمه الطريقة . فلم يره أحد بعد ذلك في المعركة والأسواق وسائر مجامع الفساق . انتهى بالمعنى وباختصار . فلو كان تعليم الطريقة غير جائز إلا بعد الاطمئنان لَما علَّمَهُ الطريقة وقتئذ . فافهم منه .

الأصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب

يا أخي ولا تقل ما ليس له دليل عقليٌّ ولا نقليٌّ ، وتدبَّر ولا تَعْجَلْ ، ولا تصدِّق من يقول كذلك ؛ **لأنه لو كانت العلة لعدم جواز تلقين الذكر القلبي كون النفس أمارة ، فلا يجُزْ أيضاً الذكر اللساني ، وأنتم تجوِّزونه دون ما قبله ، أليس القلب واللسان جارحتين من تلك الأمارة ؟! فما الفرق بينهما لمنع الذكر بأحدهما ، وجوازه بالآخَر ، مع أنَّ اللسان أكثر ذنباً من القلب ، وأفحش قولاً من الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وغيرها من كبائر الذنوب ؟!** فهذا مما لا يقوله عاقل ولم نجد عليه نقلاً ، ولم نَرَ واحداً قال مثل ذلك ولو في كتاب واحدٍ ، وعندنا من كتب أهل التصوُّف ما يكاد البعيران يشقُّ حملها ، ورأينا من كتب النقشبنديَّة ما يقارب إلى ثلاثين كتاباً ، ولم ندرك فيها ما حَكَمْتم به ، بل الحق **أن الأصل في الطاعة والعبوديَّة أعمال القلوب ، ويتفرَّع عليها أعمال الجوارح** . كذا في « شيخ زاده » .

(١) أي : محمد بابا .

ولا يخفى أنَّ الإرشاد إنما وُضِع لأجل النفس الأمارة ، ولتصفية القلب عن الأخلاق الذميمة ، ومن له قلب سليم ونفسٌ غيرُ أمارةٍ لا يجب عليه اتخاذ الشيخ كما قالوا .

قال – جعله الله من الذين يتَّبعون الحق آمين – :

وقد نقل أخونا المحقِّق إسماعيل الشلانيُّ فيما كتب إلينا من مهمَّات أمورنا ما لفظه : ونقل من « أنوار العاشقين » ما لفظه : اعلم أنَّ الذكر الخفي مختصٌّ بالأنبياء والتابعين لهم من الأولياء ، والجهر بدعة لهم ، وأما العوام فالجهر سنة والإخفاء بدعة لهم : لأنَّ قلوبهم قاسية لا تلين إلا بالجهر ، فلهذا سنَّ لهم الأوراد عقب الصلوات بالجهر . وما ذكر من البدعة في جهر الأوراد فمختصٌّ بالخواصِّ . انتهى .

أقول – والله وليُّ الهداية والتوفيق – فعادة كلِّ أحد أن يتكلَّم بما ذاقه ولا يعلم إلا هو ؛ فِمن أئمة الطرق من يستعملون الأذكار الجهرية في الابتداء ، ثم بعد سَرَايَة أثر الذكر من اللسان إلى القلب يشتغلون بذكر القلب ، ويَعُدُّون ذكر اللسان بعد ذلك ذنباً من الذنوب ، من قبيل : **حسنات الأبرار سيئات المقربين** . ومنهم من يستعملون الذكر القلبي في الابتداء كالنقشبندية ولا يعلم ما هم عليه إلا من ذاق ما ذاقوه .

هِمَمُ الرجال تقلع الجبال

فقاعدتهم أن يتوجَّهوا إلى باطن من جاء لديهم من المريدين بجمع الهمة الفَعالة فيتصرّفون في بواطنهم ، ويجذبون قلوبهم إلى الله بحسب استعداداتهم ؛ فمنهم من يتأثَّر في توجُّهٍ واحدٍ ، ثم بعد ذلك يلقِّنه الشيخ الذكر القلبي ، فيقوم التوجُّه عند النقشبندية مقام الذكر اللساني عند غيرهم ، وتَخرج به قساوةُ القلوب ، ولذا قيل : همم الرجال تقلع الجبال ،

أي : تقلع من القلوب القساوة التي كالجبال ، كذا في « بيان الأسرار » . ولعلَّ صاحب « أنوار العاشقين » كان من غير النقشنبدية ولم يذق ما ذاقوه ، ومن أين يعلم ما لم يذقه . فلقد صدَّق القائل ؛ وهو الغزالي : إن كلام المتصوفة قاصرٌ .

قال - عفي عنه - : فإن كان هذا الشيخ ممن ينتسب إلى الشيخ الثغوري ﷺ فالجهر عندهم أفضل ؛ لأنّ الجذبة تقع فيه لهم ، والذكر القلبي آخِرُ [ما] يلقَّن ، ويَظهر فيه أسرار النفس والفرش والعرش ، هكذا أخبرني الشيخ حاج موسى حاج .

أقول : فلقد مرَّ أنَّ الشيخ الثغوري كان له إذن من طرفي النقشبنديّة والقادرية ، وكانت الأذكار التي يلقنها للمريدين موافِقة لما عليه القادريَّة ، فهو مسلَّم ، وإن كان استعمل المشيخة على قاعدة النقشبنديَّة فأفضلية الجهر عندهم غير مسلّم ؛ لأنّ الأذكار الجهريَّة ليست في طريقتهم .

فكيف تفضل على الأذكار القلبية ؟ ! وفي « المتممات » : إنَّ الذكر القلبي أول المرتبة عندهم ، فأول قَدَمٍ يضعونه في الذكر القلب . انتهى من عبارته . فافهم منه . يا أخي وقد علمت مراراً قاعدة استعمال الشيخ الثغوري في تلقين الأذكار في المقدّمة .

قال - رحم الله عليه رحمة واسعة - : إنَّ الذكر الخفي المعنعن لا يقدر في ديارنا ، كما قال الشيخ ممَّ دبر الروچي ﷺ في كتابه ، وأما مجرَّد حضور الألفاظ فلا يفيد ؛ لأنَّ شروطهم ، كما في كتبهم التوجُّه إلى الذات في الرابطة ، والوقوفُ القلبيُّ ، ودوامُ الذكر والزهد في الفاني ولو في الحلال ، فمن فَقَدَ هذه الشروط ، فكيف ينتج له محبة ذاتية ؟ ! وإذا لم يظهر محبَّة ذاتية ، فكيف يُظهر في أول التلقين نهاية سائر الطرق ؟ ! فاللائق لأهل الطريقة النقشبندية ترك تلقين الذكر الخفي إلاَّ الخواص من

المريدين ، كما تقدم من « أنوار العاشقين » . وأما تحرُّك القلب والألطاف ، فليس هذا علامةَ ذكر الخفي المراد عنه .

أقول : والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخراً والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين ، هذا آخر ما شرحه هذا العالم على ديباجة كتابي « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » جزاه عنا خير الجزاء ، ورزقه التوفيق والاستقامة ، وأدخله الجنة مع الحور والغلمان .

فقولكم أيها الأخ : إن الذكر الخفي المعنعن لا يقدر في ديارنا . . إلخ . فهو كلام غير مقبول ؛ لأنّ أهل هذه الطائفة النقشبندية قد جرَّبوا في مريدي ديارنا فوجدوهم يقبلون الذكر الخفي ولو كانوا من أفسق الفساق ، فلم نلق في مريدينا ومريدي شيخنا العسلي قدس سره ولو واحداً لم يحصل له أثر الجذبة والقابلية في مدة شهْرٍ ، فالعجب أيّ العجب إنكاركم على ذلك . فلعلّكم لم تذوقوا مقام التصرُّف ، ولم تُدْرِكوا حقيقة استعمال الهمَّة الفعالة ، وإلا فلا مجال لكم أن تقولوا : إنّ الذكر القلبي حرامٌ لمن له نفس أمارة ، مع أنها تُظْهِر أحياناً ولو في "الراضية" . ولقد علم من كتبهم أنّ الموصل في الحقيقة في هذا الطريقة هو المرشد لا نفس الطريقة . كذا في « البهجة » لأنَّ هذا الطريق طريق الانعكاس والانصباغ ، وطريق الانصباب من صدر إلى صدر ، كما روي « ما صبّ الله تعالى إلى صدري شيئاً إلا وصبّبته إلى صدر أبي بكر » . ولقد شاهدنا كثيراً من المريدين في هذه الطريقة النقشبنديّة حصل لهم الجمعيَّة والحضور بتوجُّه واحد .

وقال الإمام الرباني في المكتوبات : ورأيت بنظرهم الواحدِ ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين . انتهى من عبارته ٦٩ من الجزء الثاني . وفي « الدرر المكنونات النفيسة » : ويعمل توجُّههم الواحد عمل مائة من الأربعين ،

والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين . انتهى من عبارته ٣٦ من الجزء الثالث . حتى قال لي واحدٌ منهم إنه لا يفهم من أصوات الكلب النابح إلا الذكر فضلاً من صوت غيره ، مع أنّه لم يصل إلى شيخه النقشبنديّ العسليّ قدس سره إلا مرة واحدة . انتهى .

فإذا كان الأمر كذلك وتبيَّن إطاقة أهل الداغستان على الذكر الخفيّ القلبيّ بالتواتر ، وتيقَّن وتحقَّق توجُّه القلب إلى جناب الحق تعالى بجريانه بالذكر في الخلاء والملأ لدى العلماء الثقاة ، فالقول بعدم الإطاقة على ذلك يشعر أنّ القائل به لم يذقه ولم يدركه . وأما ما قاله الشيخ مم دِبر الروجيّ فلعلّه قال ذلك لعلّة ؛ وهي أنّه كان شيخاً هرماً ضعيفاً لا يقدر على التوجّهات بجمع الهمّة الفعالة ؛ ولذلك لم يقدر أن يتصرَّف في بواطن المريدين بصفة الجذبات الإلهيّة ، وإلا فقد لاقينا من لقن لهم الشيخ مم دِبر الروجي قدس سره الذكر القلبيّ من ديارنا الداغستانية ، وهم أحياء في هذا الحال؛ فلأجل ذلك قال ما قال . والله أعلم .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسيّة » : لا يجتمع ثلاثة إلا وفيهم وليّ لله . انتهى . وإذا كان كذلك لا ينبغي نفي جواز الذكر القلبي لأهالي داغستان بزعم أنهم أصحاب النفوس الأمارات مع أنهم مؤمنون مسلمون . وليت شعري هل ليس فيهم وفي مريدي هؤلاء المدعين ولو واحداً ليس له نفس أمارة فيعطى له الطريقة ، مع أنَّ المجاذيب في المؤمنين أكثر مما لا يحصى ، كما قال الشعراني . ولقد علم من كتب السيَّر أنَّ عمر ﷺ كان يذهب ليقتل النبيّ عليه السلام ، فأُخبِرَ أنَّ أخته وزوجها قد آمنا وأسلما ، فسَطا إليهما سطوة غاضباً عليهما ، وكان في بيتهما الحافظ خبّاب يكتب سورة طه ، فاختفى هو وزوج أخت عمر ﷺ خلف الدلاّبِ خوفاً منه ، فضرب عمر ﷺ على أختها حتى سالت الدم منها ، لكنّها كَلِمَتْ وقويَتْ قَلْبَهَا ، فتواجهتْ إليه وتواجه الحافظ والزوج فاجتمع إليه ﷺ ثلاث توجُّهات ، فخمَدَ من قلب عمر ﷺ نار الكفر ،

وأنار بنور **الإسلام** ، ولان قلبه وذهب غضبه . فإذا كان قلب الكافر الذي قصد لقتل سيّد المرسلين عليه السلام يتأثّر بالتوجه ، فلا نعلم شيئاً يمنع التأثير لقلب مسلم وأبوه مسلم ، ولا نجد دليلاً ما على تحريم الذكر القلبي لأهالي داغستان .

وكذا أخبرني بعض العلماء أنه رأى في كتاب « الإبريز » ما حاصله : إن جارية كافرة تكلّمت بالحكمة بتوجُّه واحد من أهل التصرف . انتهى . لكن لم أصادفه . وفي معرب المكتوبات للإمام الرباني في ١٤٧ من الجزء الثالث : ولكن تعليم الطريقة **أياً من كان بعد الاستخارات والتوجُّهات مناسب بل لازم** . وقد ذكر القطب الأعظم أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره صاحب التأليفات النفيسات كـ« راموز الأحاديث و المتممات » و« جامع الأصول » و« نجاة الغافلين » و« روح العارفين » في كتابه « المتممات » ما حاصله : **إنَّ تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرُّك والمحسوبية** . . إلخ .

وقال فيه أيضاً : فليت شِعْرِي هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا بالتيائس من علاج أمراضهم القلبية ، وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوج الضال ؟ وهل يلزم أن يكون جميع الملقَّنين بالذكر أهلاً للتبرُّك والتجريد والاستقامة ؟ أم منهم . .إلخ راجعه ، وراجع « الدرة البيضاء » ففيه البسط . وفي « البهجة » ما حاصله : إن الشيخ لا يلقّن التوبة للمريد بالتفصيل ، بل بالإجمال لئلاَّ يُنفِّرَ ويستصعب ، فراجعه .

وقال الإمام الرباني ﷺ في بعض المكاتبة مجيباً لمن سأله : أن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أنّ أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رباً ، ويُظهرون أنَّ هذا الأخذ منهم ليس إلا بالحيلة الشرعيّة ،

هل يتأهَّلون هؤلاء لتعليم الطريقة : لقّنوهم الذكر ، وعلّموهم ورغّبوهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلّهم يتخلَّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة . معرّب « المكتوبات » من عبارته ١٣١ من الجزء الثاني . انتهى من « البهجة » عبارته .

وقولكم أيها الأخ - هداك الله - : وأما مجرَّد حضور الألفاظ فلا يفيد . .إلخ . فهو قول عجيب . فاعلم يا أخي أنه يفيد حضور الألفاظ في القلب ساعة أكثر ممَّا لا تفيده حركة اللسان بها ستين سنة ؛ لما قالوا : إن ذكر القلب هو تفكّر اللفظ . ولقد عمَّ المحقّق ابن حجر الهيتمي في « فتاواه » التفكر في حديث « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » إلى الذكر . فراجعه . وقال في « تحفة »ه من صلاة النفل : العمل القلبيّ لعدم تصوّر الرياء أفضل من غيره . انتهى . ظاهره وإن قلَّ كتفكّر ساعة بالنسبة إلى ألف ركعة . انتهى « ابن قاسم » فراجعهما . ويؤيِّده خبر البيهقي : الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » ، « الفتاوى الحديثية » لابن حجر عبارته من ٥٥ .

فإن قلتم أيها الأخ : إنه في حق من ذكر مع حضور المعنى . قلنا : فمحالٌ أن يحضر في القلب الاسم ولا يحضر فيه المسمَّى ، مع أنَّ المقصود من ذكر الاسم هو ذات المسمَّى لا الاسم المجرَّد ، فافهم وراجع « الفتاوى العمرية » وفي « الدرة البيضاء » بسط كثير في حق هذا المطلب ، ومن نظر إليه يجني من ثمراته رطباً جنيّاً . وأما معنى التوجُّه إلى الذات فهو الحضور بالله وطلب رضائه . كذا في « مجموعة الرسائل » عبارته .

ومعلوم مشهور أنَّ الوقوف والرابطة لا يشتغل بهما واحدٌ إلا لطلب رضاء الله ولحصول الحضور به تعالى ، وللوسائل حكم المقاصد . وأما المنع من الدخول في الطريقة بزعم أنَّ الداغستان لا يطيق أن يديم الذكر ، ودوامه شرط ، فيعلم فساده بما قالوه من : أنّ أقلّ الذكر في المَلَوَيْنِ

خمسة آلاف ذكر ، كما هو مبسوط في غير كتاب . وقال الشيخ محمد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » :

إن الانتساب إلى النسبة العلية تكفيه فقط إن حفظه ، وهكذا في مكتوبات الغوث الأعظم محمود الفعال قدس سره . وأما الزهد في الدنيا ولو في الحلال فليس ذلك شرطاً لجواز الدخول في الطريقة ، لَمَا في الرشحات » و« المتممات » من أن بهاء الدين النقشبندي قال : كُلْ الطعام جيِّداً واشتغل جيداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى من عبارته . ولِمَا قاله الشاذلي : ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا . .إلخ . ولَما قالوا : لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة . . إلخ من « المتممات » . وهكذا بل عينه في « الأجوبة المرضية » و« المواهب البريقة » و« الدرة البيضاء » .

وقولكم : (فمن فقد هذه الشروط فكيف ينتج له محبة ذاتية ؟) . . إلخ . فالمحبة الذاتية هي الميل والتوجُّه إلى ذاته تعالى لذاته لا غير ، فهذا الميل والتوجُّه ليس شيئاً غريباً ليحكم بفقدانه في أهل ديارنا الداغستانية ، ولا يخفى أنّ أحداً لا يذهب لدى الشيخ لأخذ الطريقة إلا لميل قلبه إلى الله ، وذلك الميل والتوجه موجودٌ في كلّ مريد ، ومن عدَّ هذا شيئاً غريباً ، وادعى أنه من أهل الإرشاد فهو عند أهل الله منحطٌّ عن درجة الإرادة ، فضلاً عن درجة الولاية .

إن الجذبة مقدَّم في هذه الطريقة على السلوك

وأما معنى ظهور نهاية سائر الطرق في الابتداء في هذه الطريقة النقشبندية ؛ أن الجذبة مقدَّمة على السلوك في تلك خلاف سائر الطرق ، فالسلوك فيها مقدّم على الجذبة ، والجذبة متأخرة : والجذبة إما استغراق في المذكور ، أو غيبة فيه بلا شعور . كذا في « بهجة السالكين » و« بهجة

المسلكين ». فالذي يحصل للمريد في بدايته حصول الحضور الدائميّ للقلب ، بحيث لو تكلَّف بإخطار غيره تعالى لم يخطر ، وليس معناه أنه لا يخطر شيئاً أصلاً ، كما يظنه الجاهلون ، بل معناه لا يخطر شيئاً يضرّ الحضور ويحصل بسببه صرف القلب عن التوجه إلى جنابه تعالى ، بل يصير القلب بحيث يسع كليهما ، ولكن الأغلب المتمكن فيه حضوره. وقد يطرأ للمريد المبتدىء حالة يغيب عن إحساسه ، ولا يعلم ما يفعله ويقوله الحاضرون عنده ، لشدَّة توجُّه قلبه إلى الله تعالى ، ولكنَّه تزول سريعاً وتعود أحياناً . وهذه هي المراد من قولهم : إنَّ الجذبة مقدَّمة في هذه الطريقة على السلوك ، عكس سائر الطرق . وصيرورة القلب على هذه الحالة هي نتيجة كاملة وأمارة تبعة بالذكر ، ودليل تنوّره بالنور الأصفر ، وما لم يحصل للمريد هذه النتيجة لا يصحُّ أن يبدَّل ذكره إلى الروح . وليس الشرط أن يصير القلب على تلك الحالة في أول التلقين ، بل إذا أكثرَ المريد ذكر ربِّه يصير القلب كذلك بالتدريج . فافهم .

وقد قال الخادمي قدس سره في ١٤٨ في شرحه على « النصائح الولدية » للغزالي قدس سره : والمحبَّة وإن كانت من عطية الربِّ لكن حصولها من جهة العبد بترك ملاحظة غير الله تعالى ؛ بأن يخلو القلب عن كلِّ شيء غيره تعالى ، فإذا تفكَّر اسمه في القلب وارتسخ ذلك ودام يحصل لذةٌ تنقطع جميع اللذات عندها ، ولا يتعلَّق القلب بالغير ، وإن تكلف أن يخطر الغير لا يمكن ذلك . فهذا غاية طريق المتصوِّفة . انتهى من عبارته ١٤٨ .

فقولكم : فاللائق لأهل الطريقة النقشبندية ترك تلقين الذكر الخفي . . إلخ . فهو قول ساقط عن درجة الاعتبار ؛ لأنَّ العلَّة في تفضيل الذكر الخفيِّ خلوصه عن الرياء والسمعة ، وفي تفضيل الذكر الجهري إنه من الأعمال المتعدِّية ؛ أي : إن الذكر الجهريَّ يفضل لو صدر ممَّن يذكر لمجرَّد وجه

الله غيرِ مشوب بشوائب الأغراض والأعواض ؛ لأنَّ منفعته تتعدَّى . ولو صدر ممَّن سُداه-ولُحْمَته أنانيَّة ، وغرضه وقصده شهرة وسمعة فلا ثواب فيه أصلاً ! فكيف يفضل على الخفي ؟ !

ولقد قلتم أيها الأخ فيما قبلُ : إنّ الذكر القلبي حرام لمن له نفس أمارة . .إلخ ، فاللائق بأحوال أهل الأمارة عندنا بالنظَر إلى أقوال الأئمة إخفاء الذكر وترك الجهر خلاف ما قلتم ، كيف لا ؟ ! وقد كان المشائخ الخواجكانية قدس الله أسرارهم : يجمعون بين الذكر الخفي وذكر العلانية من لدن محمود إنجير الفغنوي قدس سره إلى زمان الأمير كلال ، ولما ظهر الشيخ محمد نقشبند اختار ذكر الخفية واجتنب ذكر العلانية . كذا في « الرشحات » و« البهجة » ؛ أي : كانوا قبل ذلك يذكرون بالخفيَّة إذا انفردوا ، وبالعلانية إذا اجتمعوا ، وترك محمد نقشبند العلانية ولو في الاجتماع وذلك بأمر روحانية عبد الخالق الغُجْدْواني قدس سره ، وأقرَّه على ذلك شيخه الكلالي ، وأمر أصحابه بالاتباع على ما أمره . كذا في « الباقيات الصالحات » .

وفيه أيضاً : إن واحداً من العلماء طلب من حضرة محمود قدس سره أنَّ ذكر العلانية مسلَّم ممَّن يكون لسانه طاهراً عن الكذب والغيبة ، وجوفه عن الحرام والشبهة ، وقلبه صافياً عن الرياء والسمعة ، وسرُّه منزَّهاً عن التوجُّه إلى غير جناب الربوبية . انتهى من عبارته . فافهم منه يا أخي . وهذا حال النقشبندية فإنهم لا يجوِّزون ذكر العلانية إلا إذا وصل المريد إلى مقام المراقبة المعيَّة كما مرَّ . وفي ذلك المقام يرى السالك أنه بين يديه سبحانه وتعالى ، وهو ناظر إليه ومطَّلع على ما في قلبه . ولا يخفى أنَّ من كانت مشاهدته وملاحظته هكذا لا يُرائي ، ولا يَتَوجَّه إلى غير جناب الله تعالى ، ولا يخفى أيضاً أنَّ من كان له نفس أمارة فهو منغمسٌ في الحظوظات ومتزيّن بالمُراءات ، ولا قصد له سوى الرؤية والسمعة ،

فإذا دخل هذا الشخص في عهد الشيخ ولقنه الذكر الجهري ، وحثَّه على ذلك يظن أنَّ ذلك من الأعمال المتعدّية ، فلا شكَّ أنَّ هذا الشيخ لم ينصح له ، بل ألقاه في المهلكة وزاد مرضاً فوق مرض ، فصار الشيخ غشّاشاً لذلك المريد ، وماهية الشيخ أنه العارفُ بالطبّ الروحاني الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضها وأدويتها ، وكيفية صحتها واعتدالها ، القادرُ على الإرشاد .

ومراد جميع الداعين إلى الله تعالى من تسليكهم المريدين في الطريقة أن يحملوهم إلى مقام الإخلاص ، لا غير فافهم . **ولقد صار أهل الداغستان في أيدي الكفرة ، ورأوا ما يفعلونه لأهل الإرشاد ذوي الأذكار الجهريات ، فاللائق لهم الأذكار الخفية مع أنها الأفضل والأقرب بالأدلة والنصوص كما يأتي .**

وقولكم : وأما تحرك القلب والألطاف فليس هذا من علامة الذكر الخفي المراد منه . فهو قول عجيب وكلام غير مقبول ؛ لأنهم قالوا : إذا خرج نور لطيفة القلب من حذاء كتفه وعلا أو حصل فيه اختلاج أو حركة قويَّة فيلقّن الشيخ الذكر بلطيفة الروح ، ثم إذا وقعت الحركة فيها واشتغلت فيلقن بلطيفة السرّ . .إلخ . كذا في « جامع الأصول » وغيره من كتب النقشبندية . قال في « تصديق المعارف » في قوله تعالى من سورة الأنفال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية . اعلم أن الوَجَلَ خوف في اللغة ، وعلى لسان أهل التصوُّف اهتزاز القلب لما سمع فَرَحاً أو تَرَحاً ، وحمل الآية على هذا أصحّ لأنها إنما نزلت فيما يختص الصوفية به ؛ وهي أحوال القلوب . انتهى من عبارته .

وفي تفسير سلمى في قوله : ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، هاجت من خشية الفراق ، فخشعت الجوارح لله بالخدمة . انتهى عبارته . فهذه المذكورات تدلُّ على أن الاهتزاز من علامة الذكر فافهم ، لكنَّ الحركة والاضطراب

ليست بلازم ولا مستحيل الحصول . كذا في « النفائس السانحات » وفي البهجة السنية » في ٤٧ .

واعلم أنّ المقصود من الذكر حضور القلب مع المذكور لا حركة القلب وقت الذكر ، فإن الحركة ليست بشرط عندهم . قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إن أريد من ذكر القلب تحركه بالذكر فدوامه ليست بشرط ، لا في حالة الفناء ولا في غيرها . والذي يطلب دوامه هو الحضور القلبي والتوجه إلى جناب الحق جلَّ ذكره ، وَجد التحرك أو لم يوجد . انتهى من عبارته . وفيه أيضاً : فأمّا الذكر الأوّل الوارد معنعناً الخفي القلبي فهو ذكر اسم الذات ، أعني : الجلالة ، وهو لفظة (الله) بالقلب . قال الشيخ الأكبر محيي الدين قدس سره وليكن ذكرك الاسم الجامع هو (الله الله الله) لا تتعدّ هذا الذكر ، وتحفظ أن يفوّه به لسانُك ، وليكن قلبك هو القائل ، ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك ، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالك التي كنت عليها ، فإنها قوّة عَرَضِية إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعة . انتهى من عبارته ٤٧ . اعلم أن الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والذي اختاره ساداتنا النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية من الأذكار الذكرَ الخفي القلبي ، ولهم على ذلك دلائل من الكتاب والسنة ، ونقول العلماء الأئمة ؛ فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ الآية ، ومن السنة ما ورد في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله تعالى « أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » رواه البخاري وغيره . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبويها قالت : قال رسول الله ﷺ يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفاً ، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم ،

وجائت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى : انظروا هل بقي لعبدي من شيء ؟ فيقولون ما تركنا شيئاً ممّا علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه ، فيقول الله تعالى : إنَّ لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي » . انتهى من « البهجة » عبارته من ٣٥ بتصرف واختصار . ومثله في « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ إلخ فراجعه . وقد جاء في تخصيص القلب بالإيمان والخشية والإنابة والذكر والتقوى والسلامة آيات كريمات . قال الله تعالى ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ ، و ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ ، ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ .

قال الحرث رحمه الله تعالى : **بلية العبد تعطيل القلب عن الله فحينئذ تحدث الغفلة بالقلب** ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ . وقد كان السلف الصالح يجتهدون في قطع العلائق ورفع الشواغل والعوائق عن القلوب ، ومتى تفرغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبة خالقه . انتهى من « البهجة » من عبارته ٢٦ . وفيه : والذكر ريحانة القلوب ، وبه تحصل الأنس بالمحبوب . قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ، و﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، وبه تنتفي غفلة القلب عن علام الغيوب . ولما اختص القلب بهذه الخصائص الفائقة ، وتضاعف الذكر فيه بتلك المضاعفة السابقة كان حقيقاً بالاعتناء بشأنه وإصلاحه بالتجرد عن الأغيار وصقله بكثرة الأذكار ؛ لأنه محل نظر الله الغفار ، وموضع الإيمان ومعدن الأسرار ومنبع الأنوار ، وبصَلاحه صلُح الجسد كله ، كما بيّنه لنا النبيُّ المختار ﷺ ، كيف لا ؟ ! وعليه بصحة العبادات الاعتقادية والعملية المدار فلا يكون العبد مؤمناً إلا بعقد القلب على ما يجب الإيمان به ، ولا

تصحُّ عبادة مقصودة إلا بنية،سواء كانت العبادة بدنية كالصوم والصلاة ، أو مالية كالزكاة أو مركبة منها كالحج ، لتتميَّز العبادة ، فصار القلب محطّاً لجميع العبادات . انتهى من عبارته ٣٦ . فهذا آخر ما أردنا أن نورده في هذا الكتاب ، فلعل الناظر إليه أن يَصْلُح منها ما زلَّ القلم ، وما سهى عنه الفكر ، ومن دلّنا على ما وقع منَّا من الخطأ والزلل في الأخذ فهو عندنا كروح جسدنا وقُرَّة عيننا ، ولا نطيق أن نكافىء صنيعه ولو خدمْناه مدى الدهر . اللهم اغفرلنا ولجميع أمة محمد ﷺ ، واهدنا وإياهم إلى سواء الطريق ، واجعلنا من الذين يروِّجون الطريق ويتبعون الشريعة بأحسن توفيق ، وارزق أستاذنا ومولانا جميع ما فيه الصلاح والتحقيق ، آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

خاتمة

في ذكر الطرائق المجتمعة في هذه الطريقة النقشبندية العلية

اعلم أنّ طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء به عند السادات النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية أربعة ؛

الطريقة الأولى: صحبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب ؛ وهي سببٌ مستقلٌ في الإيصال إلى المرتبة ، وهي الأعلى الأقوى الأفيد من طرق الوصول ، وهي عند الصوفية من جملة الفرائض ؛ **لأن علم التصوف إنما يكتسب من صحبة المشائخ الكاملين** ، لا من مطالعة الكتب ولا من الرياضات في الليل والنهار ، والرياضة بغير شيخ لا تورث إلا الوسوسة ؛ **فما يحصل للسالك في صحبة الشيخ الكامل في لحظة واحدة لا يحصل له في مطالعة ألف كتاب ولا رياضات ألف سنة** .

وقد أجمع العارفون على أنَّ المريد الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ الكامل بالانقياد والتسليم انطبع باطنه بأنوار باطن الشيخ في أول قدومه فيها . .إلخ . ولذا قال بهاء الدين النقشبند قدس سره : طريقتنا الصحبة ، والخير في الجمعية . ولقد تلقَّى أبو بكر ﷺ هذه النسبة التي في هذه الطريقة النقشبندية عنه عليه الصلاة والسلام بمجرَّد الصحبة به في غارة الهجرة . قال في « نزهة المجالس » كما في سلسلة الخواجكان : أنه قال عليه السلام « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوُّف . انتهى عبارته . ورأى واحدٌ رسول الله ﷺ في المنام فقال : يا سيدي أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : وقوفك بين يدي وليٍّ من أولياء الله كحلب شاة خير لك من أن تعبد الله إرباً إرباً ، فقال : حيّاً أو ميّتاً ، فقال : نعم ، انتهى من « بريقة » ١٨٨ ج٢ .

وللصحبة ثلاث شرائط

الأول : أن يصحب المريد الشيخ خدمة له وانتساباً إليه وافتخاراً به وإقبالاً عليه .

الثاني : أن لا يعترضه ولا ينكر فعلاً من أفعاله مطلقاً ، ظاهراً وباطناً ؛ ولو رأى منه ما **يخالف الشرع** ، ويعدّ خطرات وهمه ذنوباً يستغفر الله تعالى منها ؛ لأنَّ الشيخ بيد الله تعالى ، والله لا يأمر بالفحشاء ، ولكنَّه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره . انتهى من « البهجة » عبارته .

فالعارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صوريةٌ لا حقيقيَّةٌ قصد بها امتحان من شاهدها واختبارَه . كان لبعض المشائخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوماً ، فقال له : يا فلان أتحبُّني ؟ قال : نعم يا سيدي ،

فقال له : من تُحِبُّ أكثر ، أنا أو أبوك ؟ فقال : أنت سيدي ، فقال : أفرأيت إن أمرتك أن تأتيني برأس أبيك ، أتطيعني ؟ فقال يا سيدي ، فكيف لا أطيعك ؟ ! ولكنَّ الساعة ترى ، فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس ، فتَسَوَّر جدار دارهم وعلا فوق السطح ، ثم دخل على أبيه في أمّه في منزلهما ، فوجد أباه يَقْضِي حاجتَه من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك[1] عليه وهو فوق أمه ، فقطع رأسه وأتى به إلى الشيخ وطرحه بين يديه فقال له : ويحك أتيتني برأس أبيك ؟ ! فقال : يا سيدي نعم ، أمّا هو هذا ، فقال له ويحك إنما كنت مازحاً ! فقال له المريد : أمّا أنا فكلُّ كلامك عندي لا هَزْلَ فيه ، فقال له الشيخ : انظر هل هو رأس أبيك ؟ فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه ، فقال له الشيخ : رأس من هو ؟ فقال له : رأس فلان العِلْجِ ، وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين ، قال : وكان أبوه غائباً تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش ووَعدتْ عِلْجاً كافراً ، ومكَّنته من نفسها ، وكوشف الشيخ ﷺ بذلك ، فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه ، فعلم أنه جبلٌ من الجبال فكان وارث سرِّه ، والمتولّي بعده على فتحه ، والله الموفّق . انتهى « إبريز » عبارته ٢١٠ .والحكايات في هذه كثيرة ، ويكفي هذا المذكور للمتأمّل المتدبّر ، والله أعلم .

الثالث : أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسّال لا يخالفه في شيء مطلقاً ، ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبداً . وللصحبة آدابٌ أخر ، لكن المذكور منها يجرّ غيره ، والأخلاق يجلب بعضها بعضاً .

وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصِل إلى الله تعالى بحاله لا بواسطة شيء آخر كالخرقة أو الذكر ، فإن شيخ الخرقة يسري حاله في

---

(١) برك : ثبت .(مختار) .

الخرقة ، ثم يصل إلى المريد ، وكذلك شيخ الذكر ذكره أمدّه لا شيخه ، فهما شيخان مجازاً ، وهو شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد . قال العارف عبد الغني النابلسي قدس سره في شرح ابن الفارض قدس سره : ما يتخيَّله السالك من معاني تجلّيات الحضرة الإلهية وقتَ حضوره معها بها لا بنفسه إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجُّه الرباني والإمداد الرحماني ، فتارة بالإلقاء الإلهاميّ من القلب إلى القلب مع صدق الحال ، وتارة يأتي بتقرير العبارات وتبيين الإشارات ، وتارة بإلباس خرقةِ الصوفية المشهورة ، وشرطها كمال الصدق من الطرفين ، فيسري الحال الصادق بأمر الله تعالى في المريد الصادق ، وتارة بنظر الشيخ الصادق من قوله ﷺ حكاية عن ربه « كنت بصره الذي يبصر به » ، في الحديث المشروط بالتقرُّب بالنوافل ، وتارة بنظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله ﷺ « إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله » ، وهذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء ، والإخلاص في الخدمة ، والأدب مع المشائخ ، وحفظ حرمتهم غيْبةً وحضوراً .

الطريقة الثانية : الرابطة ، وهي طريقة مستقلّة للوصول ، وعبارةٌ عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقِّق بالصفات الذاتيّة وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبة ، فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤوا ذكر الله » تحصل بها الفائدة ، كما تحصل من الذكر بموجَب : « هم جلساء الله تعالى » . ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثّ على الجليس الصالح ، والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابِط ، وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجَب : « المرء مع من أحبَّ » ، فبحفظ الصورة يتحقَّق ويتَّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله التي له . وقيل : الفناء في الشيخ مقدّمة الفناء في الله . وإن وجد في استحضار الصورة سَكراً أو غَيبةَ يترك الالتفات إلى الصورة ويكون متوجِّهاً إلى ذلك الحال ، فإنَّ زمان الغيبة زمان الوصول والشهود .

كيفيَّة الرابطة

وكيفيَّة الرابطة على أقسام :

الأوّل : أن يتصوَّر المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجَّه إلى روحانيته في تلك الصورة ، ولا يزول عن التوجّه إليها حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة .

الثاني : أن يتصوَّر صورته بين جنبيه ، ثم يتصوَّر إلى روحانيته في تلك الصورة ، كذلك حتى يحصل الغيبة أو أثر الجذبة ، فبعد حصول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة . وكلما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود إليها حتى يَرْجع إليه ذلك الحال ، فهكذا يُداوِم على الرابطة حتى يفني عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ ، فعند ذلك يشاهد روحانية الشيخ مع كمالاته في صورته ؛ لأنّ الكمالات لا تفارق الروحانية ، **فتُربِّيه روحانية الشيخ إلى أن تُوصِله إلى الله تعالى ، فيكون من الواصلين الكاملين ، فبالرابطة يتربَّى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب .**

الثالث : أن يتخيَّل صورة شيخه في جبهته ويقرِّرَها وسط الجبهة ، وهو أقوى لدفع المخيَّلات من القسمين اللذين قبله .

الرابع : أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه ، وهو أعون على دفع الخطرات القلبية .

الخامس : أن يتخيَّل الصورة في جبهته وينزلَ بها إلى وسط قلبه ويقدِّرَ أن القلب دهليزٌ واسعٌ ، ويقطعَ الخواطر جملة واحدة . وهذا القسم أنفعُ الأقسام التي قبله وأصعبُها .

السادس : أن ينفي نفسه ويثبت شيخه ، وهو أقوى لدفع البليّات . فلقد كان شيخنا ذو الجناحين العسلي قدس سره يخبرني أبعاضاً من هذه الأقسام ، ويقول : فبأيّ كيفيّة حصلت لك البركة فاستعمِلْها ، فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

ثم اعلم أنَّ الرابطة إنّما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرِّف بقوَّة الولاية ، كالشيخ محمود أفندي الألمالي الأشترخاني ، والشيخ خالد البغدادي قدس الله أسرارهما وأمثالهما ؛ لأنَّ الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، **فما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كلّ آفةٍ ، ومتى غفل عن ذلك جائته الآفات من كلِّ جانب** ، لكنَّ الواجب على المريد اعتقاده على وصول الفيض الإلهيّ بوسطة الشيخ المرابَط ؛ **فالمدار على حسن ظنِّ المريد المتوجِّه للشيخ لا على الشيخ** . وإذا استمرّ توجّه قلب المريد إلى الحق تعالى في كلِّ حركة وسكون من غير علَّةٍ فبابُ الفتح مفتوح ولا بدَّ ، وما دام العبد متوجِّهاً فالمدد فيّاضٌ على قلب من أُريدَ له الكمالُ .

قال العارف عبد العزيز الدباغ لواحد من المريدين ما حاصله : **إنَّ أكبر الكبائر في حقِّك أن تمرَّ عليك ساعة ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرُّك في دينك ودنياك** . انتهى من « إبريز » عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنـوار » : **فإن ظنُّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنُّوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحُّ لهم حماية** ، ولذلك أُمِروا مريدَهم أن لا يغفل عن شهود كونه معهم . انتهى من عبارته .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : إنّ الغوث محمود الفعال قدس سره كان يقول : **إنْ رابَطَ إليَّ المريدُ**

متوجِّهاً إلى المشرق أو المغرب لا يسكن الشيطان ما بينهما وبين المريد . انتهى .

وأما آداب الرابطة؛ فهي : أن يعتقد المريد أنَّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيّته ، وأن يعتقد أنَّ تصرُّفات روحانية الشيخ من تصرُّفات الحق سبحانه وتعالى ، وأن يحفظ محبة شيخه ، وأن يراعي نسبته في كلِّ حال ، وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكَّن فيه ذلك الحالُ ؛ لأنّه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ؛ لأنّه من أحوال الشيخ كالعارية عنده ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً .

الطريقة الثالثة : الالتزام بما لقَّنه الشيخ من الأذكار ، وهو طريق مستقلٌّ للوصول . انتهى من « البهجة » عبارته . فأما الذكر المعنعن الوارد عندهم : الذكر الخفي القلبي . فهو اسم الذات ، والنفي والإثبات ، فشروط النفي والإثبات عند النقشبنية تسعة : سبعة متَّفق عليه ، واثنان مختلف فيه . وقد مرَّ تحقيقها في المقدِّمة ، لكن كان اللائق بهذا الموضع أن نوردها ونعيدها مع دلائلها لزيادة النفع للإخوان ، فعسى أن يلاحظوني في دعواتهم .

١ - الوقوف القلبي ، لِإطلاع القلب . ٢ - حبس النفس ، لدفع الخواطر .٣ - ملاحظة خطٍّ ، لإراءة طريق الذكر .٤ - ملاحظة النقش ، لجريان (لا إله إلاّ الله) .٥ - ملاحظة المعنى ، للوصلة . ٦ - ضرب (لا إله إلا الله) ضرباً شديداً إلى القلب ، لوسعة القلب وقوَّته لإخراج الأخلاق الردية الدَنِيَّة . ٧ - ملاحظة عدد الوتر ، للتميّز . ٨ - ذكر (محمد رسول الله) ، للاتصال إلى ولاية النبوَّة . ٩ - باز كشت ؛ أي : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، لتصحيح النيّة . هذا حاصل ما في « همة المريدين » .

آداب الذكر

وفي « البهجة السنيّة في آداب الطريقة العليّة النقشبنديَّة » : وقال الإمام الشعراني قدس سره في « نفحات »ه : وآداب الذكر التي حث عليها القوم ، ورأوها أقربُ للفتح على المريدين كثيرةً ، ويجمعها كلّها عشرون أدباً : خمسة سابقة على التلفُّظ بالذكر ، واثنا عشر في حالة الذكر ، وثلاثة بعد الفراغ من الذكر . **فأما الخمسة السابقة؛**

فأوّلها : التوبة ، وحقيقتها عند القوم أن يتوب عن كلِّ ما لا يَعْني العبد من قول أو فعل أو إرادة ، ومن لم يتب هذه التوبة وترخَّص فلا يجيء منه شيء . وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول : من ادّعى حلاوة الذكر مع محبته للدنيا فكَذِّبوه .

الثاني : الغُسل للذكر ، أو الوضوء . وكان أبو يزيد قدس سره يتوضّأ ويَغسِل فمّه بماء ورد كلما أراد الذكر .

الثالث : السكون والسكوت ، فيحصل بذلك الصدق بأن يشتغل قلبه بـ (الله الله) بالفكر دون اللفظ حتى لا يبقى خاطر مع (الله الله) ، ثم يوافق اللسانُ القلبَ بقول : (لا إله إلا الله) .

الرابع : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمَّة شيخه .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخهِ هو استمداده حقيقة من النبيِّ ﷺ؛ لأنهِ واسطة بينهِ وبينه .

وأما **الاثنى عشر** التي هي في حالة الذكر ؛ **فالأوّل** : الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة . **الثاني** : أن يضع راحتيه على فخذيه . **الثالث** : تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة وكذلك ثياب بدنه . **الرابع** : لُبْسُ الثياب الطيب الحلال ولو شراميط الكيمان . **الخامس** : اختيار موضع

مظلَم إن وجد . السادس : تغميض العينين ، وذلك لأنه إذا غمض عينه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، وسدّها يكون سبباً لفتح حواس القلب . السابع : أن يتخيّل صورة شيخه بين عينيه ، وهذا عندهم آكد الأدب . **الثامن** : الصدق في الذكر ، بأن يستوي عنده السر والعلانيَّة . **التاسع** : الإخلاص ، وهي تصفية العمل من كلِّ شَوْبٍ ، فإن بالذكر والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصديقية ، بشرط أن لا يكتم عن شيخه شيئاً من خواطره ولو مذمومة ، فمن كتم شيئاً منها كان خائناً وحَرُمَ الفتحْ ؛ و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ ، فإن المريد لا عوْرة بينه وبين شيخه إلا فيما نهاه الشرع . **العاشر** : أن لا يختار من صيغ الذكر شيئاً بنفسه ، بل يشتغل بما لقنه شيخه واختاره له . **الحادي عشر** : إحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف دراجاته في المشاهَد ، ويعرض على شيخه كلَّ ما ترقّى إليه من الأذواق ، ليعلِّمه طريق الآداب فيه . **الثاني عشر** : نفي كلّ موجود من القلب حال الذكر سوى الله تعالى فإن الله غيور لا يحبُّ أن يرى في قلب عبده غيرَه ، ولو لا أنَّ الشيخ له مَدْخَلٌ في التربية من حيث كونه واسطة بين المريد وبين ربّه ما شرطوا تخيّله للمريد . قال شيخنا وإنما نَفَوْا من القلب كلَّ ما سوى الله تعالى ، ليتمكَّن تأثير (إلا الله) بالقلب ويسري إلى الأعضاء ، كما أنشدوا في ذلك :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكَّنا

وأما الثلاثة التي بعد الفراغ من الذكر :

فأوّلها : أن يسكن إذا سكت ، ويخشعَ ويحضُرَ مع قلبه مترقباً لوارد الذكر ، فلعلَّه يرد عليه وارد فيُعَمِّرُ وجودَه في لحظة أكثر مما تُعمِّرُهُ الرياضة والمجاهدة في نحو ثلثين سنة ؛ لأنه إن كان الوارد زهداً في الدنيا فيتمهَّل فيه حتى يستحكم فيه فيصير زاهداً ، وإن كان الوارد الصبر على الأذى فيتمهَّل له حتى يستحكم فيه ، فيصير يتحمَّل الأذى من كلِّ أحد من جميع الأنام .

وهكذا في جميع أخلاق القوم ، بخلاف ما إذا فرغ من الذكر ولم يسكن ، فإنَّ الوارد يَطرُقُه ولا يستحكم فيه فلا يثبت له في الوارد قَدَمٌ .

ثانيها : أن يذمَّ نفْسَه ونَفَسَه مِرَاراً ، وهذا كالمجمع على وجوبه عندهم ؛ لأنّه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحُجب وقطع خواطر النفس والشيطان ، قالوا : وأكثر مقدار المرار سبعة أنفاس ؛ **كلُّ نفس أطول ما يحتمل صاحبُه** . وعبارة « ترصيع الجواهر المكيّة » هكذا : وثانيها : أن يطرق رأسه ويكتم نَفَسَهُ من أنفه وفمّه خاشعاً ، بحيث لا تتحرَّك منه شعرة مثل سكون الهِرّة عند الاصطياد حتى يضيق نفسَه ، يفعل ذلك ثلاثةَ أنفاسٍ أو خمسة أو أكثر . انتهى من عبارته . وهي كالتفسير لما قبله .

ثالثها : منع شرب الماء عقب الذكر ؛ لأنّ الذكر يُورثُ حَرَارَةً وشوقاً وتهيُّجاً إلى المذكور ، وذلك هو المطلوب الأعظم من الذكر ، وشرب الماء عقب الذكر يطفئ ذلك ، فَلْيَحْرِصْ الذاكر على هذه الآداب الثلاثة . فإنَّ نتيجة الذكر إنّما تظهر بها ، والله أعلم .

الطريقة الرابعة : التوجُّه والمراقبة ، وهي أن يلازم القلب معنى اسم الذات على مفهوم الإيمان على طريق الاستغراق والاستهلاك ، بحيث لا ينفكُّ عنه في أيّ حال ، فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً حصل مبادي الفناء . انتهى من « البهجة » عبارته . وللمراقبة كيفيَّاتٌ عديدات وأنواع كثيرات وَذِكْرُها يجرُّ إلى التطويل ، ومن أراد الاطلاع على تحقيقها فعليه الرجوع إلى « تبصرة المرشدين » و« جامع الأصول » و« النفائس السانحات » وغيرها ، ولا يدرك ماهيَّة المراقبات إلاّ من ذاقها ، رزقنا الله تعالى نصيباً منها بفضله وكرمه إنّه جوّاد كريم ، آمين .

ثمَّ المطلب الأسنى والمقصد الأحرى من جميع العبادات أن يَخْلُصَ العبد فيها ؛ بأن يأتي العبادات والأذكار محضاً لمجرَّد وجه الله ورضائه ، لا لغرض دنياوي ولا لِحَظِّ نفساني ، سواء كان الحظ دنياويّاً أو

أخراوياً ، ولا يتخلّص الإنسان من الشيطان إلاّ بالإخلاص ، قال الله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ والمقام الأعلى من الإخلاص أن يعبد الله تعالى لمجرَّد الامتثال ، وأن لا يكون له قصد في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاق مَوْلاه العبادة ، والتذلل والخضوع والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرَّأ من الاعتماد على حَوْله وقوّته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى ، لايرى أنّه قام بذَرَّةٍ واحدة من الأمور التي كُلِّف بها على الوجه الذي أُمِر به . ومنها يترقَّى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلُّ ذرَّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة غيرهم .

ولا ينبغي لعاقل أن يطلب ظهورَ الأحْوال وحصول الأذواق بالأعمال والأذكار ، وأكثر المريدين يطلبُونها وينقبضون إذا لم يظهر لهم نتيجة الأذكار ، والعارفون منهم يخافون من حال البسط كما يخافون من الأسد ، ويلتذّون بالقبض ، كما يلتذُّ أهل الدنيا بدنياهم ، وذلك لعلمهم أنَّ في البسط هلاك باطِنِهم وعمارة ظاهرهم ، وفي القبض هلاك صفة النفس الخبيثة وعِمارة الباطن ، ويجوز أن يكون ظهور الأحوال ثواباً معجَّلاً ينقص بها الأجور في الآخرة ، لأنَّ كل من تنعَّم في الدنيا يُنَقِصُّ اللهُ من نعمِهِ في العقبى .

فالحاصل إنَّ عدم ظهور الأحوال أسلم للسالك ، لأنَّ من تطلَّع على شيء منها يسكن إليه قلبه عند حصوله البتّة ، فإذا سكن إليها القلب وقع فيه الحجاب ، والمقصود المهمُّ هو الله تعالى لا غير ، **والأحوال والأذواق بمثابة السكر والزبيب يعطاها أطفال الطريقة ليتسلُّوا بها** ، فكما أنَّ الأطفال لا يعطون السكر والزبيب إلاّ عند بكائهم ، كذلك أطفال الطريقة لا يعطون الأحوال إلاّ ضعاف القلوب منهم دون الأقوياء ، فإنَّ مَطْمَحَ نظرهم وراء الأحوال ، فافهَمْهُ واستغفر لهذا المسكين الواعظ الغير المتَّعظ .

ثم اعلم أنّ الاشتغال بالطريقة النقشبنديَّة يبلغ مرتبة في مدَّة يسيرة يتخيَّل جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً .

وفي « الرشحات » : قال حضرة شيخنا قدس سره يصل السالك بسبب الاشتغال بالذكر بالجَدّ والاهتمام في مدة خمسة أو ستة أيام إلى مرتبة يُخَيَّل له جميعُ أقوال الناس وأصوات المخلوقات ذكراً ، بل يخيل له كلام نفسه أيضاً ذكراً ، **لكن لا يحصل ذلك بدون سعي واهتمام** .انتهى من عبارته .

ولا ينبغي لأحد أن يكون مغموماً لعدم حصول هذه الأحوال دفعة واحدة ، بل اللاّزم على السالك أن لا يسأم ولا يضجر عن الطلب ، وأن يدوم على الأذكار ويصبر على الشدائد ويلتزم الباب بكمال الأدب قائلاً :

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عَوَجِي   أو تَـقْـبَـلُـوني عـلى عيبي ونقصاني

ألا ترى أنَّ سائلاً لو قرع باب واحد من كرام الناس وألحَّ في السؤال فلا جرم يستحيي من ردِّه محروماً ، بل يردُّه بكسرة الخبز التي هي مقصوده ، وما يطلبه الطالب من الطريقة لأَهْوَنُ على الله من كسرة خبزٍ بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردُّ طالباً صادقاً وهو أكرم الأكْرمين وأرحم الراحمين ، ولكن لا بدَّ من الجدِّ والصبر . فإنَّ من دام على الذكر والصحبة لا بدَّ مِن أن يحصُل له نسبة الحضور بالله تعالى على سبيل التدريج ، **ولا يشترط أن يحصُل الحضور والجمعيَّة دفعةً واحدة** . وأمَّا من لا بدَّ لهم من ارتكاب الأسباب والحِرَفِ والسعي في جميع المعايش الدنياويَّة فلا يطردهم المرشد من التلقين ، بل يُسْلكهم ويُرَخصهم ولا يزن أحوالهم بميزان أحوال السلوك ، ويلقِّنهم الذكر القلبي ولا حاجة إلى الزيادة ، فلعلهم يصلون إلى مقام الحضور بالله سبحانه تدريجاً ، ويرجعون عن أخلاقهم الرديئة ببركة الأذكار والصحبة ، ومجرَّد الانتساب ؛ أي : النسبة العليَّة إن حفظه يكفيه فقط ، وراجع « المكتوبات » للغوث الأعظم محمود الفعال الألماليّ « وتبصرة المرشدين » للشيخ محمد ذاكر قدس سرهما .

وقال صاحب «هَدِيَّة الذاكرين وحجّة السالكين : وأما تعليم الذكر للعوام فلعموم الخطاب بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية . . وإلخ . فعلى العلماء والمشائخ أن يعلّموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنَّة والجماعة ، لأنّه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ . . والخ ، وقوله ﷺ «كاتم العلم» أي : عن أهله يلعنه كلُّ شيء حتَّى الحوتُ في البحر » . . إلخ . انتهى عبارته .

فائدة يُعْلَمُ بها كون بناء هذه الطائفة النقشبنديّة على أساسٍ صحيح في جميع ما يفعلونه في تلك الطريقة العليَّة .

آداب الذكر

اعلم أنّ آداب ذكر المنتسبين لها التي هي بمنزلة الشروط على ما ذكره صاحب «حجّة الذاكرين» فعشرون ، أربعة عشر منها آداب ، واثنان منها معرفة التأثيرات والواردات بسبب الوِرد والرابطة ، وأربعة منها أبواب إلهيّة :

الأوّل : الطهارة الكاملة بأن يكون متوضّئاً طاهر البدن والثياب والمكان .

والثاني : استقبال القبلة في مكانٍ خال .

والثالث : الجلوس متورِّكاً على عكس تورُّك الصلاة ؛ بأن يعتمد على وركه الأيمن ويخرج قدم رجله اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى .

والرابع : الاستغفار من جميع المعاصي والمخالفات والغَفَلات ؛ بأن يقول (أستغفر الله) خمساً أو خمس عشرة أو خمساً وعشرين .

والخامس: قراءة الفاتحة مرَّة، والإخلاص ثلاث مرات، وإهداء ثوابها إلى روح سيّدنا محمد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليَّة النقشبنديَّة الخالديَّة قدَّس الله تعالى أسرارهم العليَّة.

والسادس: الاستمداد من أرواحهم.

والسابع: تغميض العينين بلا شدَّة، لاصقاً الأسنان بالأسنان، والشفة بالشفة، واللسان بسقف الفم، منطلق النَفَس على حاله كما في النوم.

والثامن: رابطة الموت، وهي عبارة عن ملاحظة الموت وأحواله، والقبر والسؤال والحساب والقيامة وأهوالها، كأنَّ الموت قد حلَّ به الآن، وكأنَّ هذا آخر نَفَس من أنفاسه في الدنيا.

والتاسع: رابطة المرشد من حيث هو مرشده وأستاذه، وهي عبارة عن المحبَّة الكاملة له في الله، وتخيُّل صورَته بين عينيه.

والعاشر: رابطة الحضور، وهي عبارة عن التفكر بأن الله تعالى حاضِرٌ ناظرٌ محيطٌ، عالم بك وبجميع العالم بكمال الهَيْبَة والعظمة، منزَّه عن المكان والجهة والصورة.

والحادي عشر: الوقوف القلبيُّ، وهو عبارة عن التوَجُّه إلى القلب الصَّنَوْبَرِيِّ بعين الخيال، وتطهِيره عما سوى الله تعالى.

والثاني عشر: الوقوف الذكريّ، وهو عبارة عن تخيُّل لفظة الجلالة، أعني لفظة (الله)، وتخيُّل نقشه على القلب.

والثالث عشر: الوقوف العددي، وهو عبارة عن ضبط عدد الذكر الذي ذكرتَه.

والرابع عشر: القول في رأس كلِّ مائة أو عند غلبة الخواطر مما سوى الله تعالى (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي)، **ولهذه المذكورات علل ودلائلُ**.

فوائد الوضوء

أمّا الطهارة الكاملة فلتعظيم الذكر وللسّلاح على الأعداء ، كما في الصلاة لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، وقوله عليه السلام « إذا توضّأ العبد تحاتَّ[1] عنه ذنوبه كما تحاتُّ ورقُ هذه الشجرة » . انتهى من « حجة الذاكرين » من عبارته . وروي عنه عليه السلام « إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبُه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قَعَدَ مغْفوراً له » الحديث من « أسباب الفلاح » عبارته في ٢٥ .

وفي « البريقة » : من داوم على وضوئه أكرمه الله تعالى بسبع خصال : ١ - ترغيب الملائكة في صحبته . ٢ - لا يزال القلم رطباً من كتابة ثوابه . ٣ - تسبيح أعضائه وجوارحه . ٤ - لا يفوته التكبيرة الأولى . ٥ - إذا نام بعث الله ملكاً يحفظه من شرّ الثقلين . ٦ - يسهل الله عليه سكرات الموت . ٧ - وأن يكون في أمان الله تعالى ما دام على الوضوء . انتهى من عبارته في ٦٣ من الجزء الثاني .

وأمّا استقبال القبلة في مكان خال ، فلتعظيم ذكر الله ودفع الشغل وطلب الحضور والفراغ واجتناب الرياء لقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « خير المجالس ما استقبل القبلة » انتهى من « حجة الذاكرين » عبارته . وروى الطبراني باسناد حسن « إنّ لكلِّ شيء سيّداً ، وإنَّ سيِّد المجالس قُبَالَةُ القبلة » ، وفي رواية له أيضاً « إن لكل شيء شرفاً وإنَّ شرف المجالس ما استقبل القبلة » . انتهى من « لواقح الأنوار » عبارته .

---

(١) تحاتَّ عنه : تساقطت ، وأصله : تحاتتت : فحذفت إحدى التاءات لتوال الأمثال ، وذلك للتخفيف .

وقال الشعراني قدس سره فيه : أُخِذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نجعل جلوسنا دائماً للقبلة عملاً بقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ أي : نحو الكعبة ؛ **اللهم إلاَّ أن يكون أحدنا جالساً في حلقة ، فقبلة أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا ، من حيث أنَّ المؤمن مرآة المؤمن ، ولا يخفى أنّ توجه العبد لأخيه في غير صلاة أفضل من توجُّهه للقبلة ، فإن لم نجد من نستقبله من المسلمين استقبلنا القبلة لأنها تليه في المرتبة** ، والله عليم حكيم . انتهى عبارته .

وأما الكون في مكان خال فلقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ الآية ، وقوله عليهِ الصلاة والسلام « السرّ أفضل من العلانيّة ، ولمن أراد الاقتداء العلانيّةُ أفضل من السرّ » ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « ذاكر الله خالياً ، كمبارزة إلى الكفّار من بين الصفوف خالياً » ، ولقوله عليه الصلاة والسلام لعليٍّ كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه « عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة » . . إلخ . انتهى من « حجة الذاكرين » عبارته مع تصرُّف في العبارات .

وأمّا الجلوس متوركاً على عكس ما في الصلاة فلاتباع الأصحاب رضي الله عنهم ولاستراحة البدن ، لأنَّ الأصحاب كانوا يجلسون عند النبيّ ﷺ على هذه الهيئة ، واتباع الأصحاب سنة ، وهي أقرب للتواضع ، وأجمع للحواس على القلب ، انتهى منه[1] ، لتأثير القلب سريعاً . انتهى من « مهمّة المريدين » عبارته .

وأمّا الاستغفار فللطهارة من دَنَس الذنوب مانعةِ الوصول إلى حضور حضرة ربِّ الأرباب ، والرينِ والحجاب على القلوب ، وذلك فرض على كلّ مُذنِب وعاص لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

---

(١) أي : « حجة الذاكرين » .

ألآية ، ولقوله عليه السلام « ثلاثة معصومون من شرِّ إبليس وجنوده ، الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله » .

وأمّا قراءة الفاتحة والإخلاص وإهداء ثوابها لأرواح السلسلة فللوَسِيلَةِ للاستمداد منهم ، وللقُرْبَة والمناسبة لهم ، لقوله تعالى ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية ، ولقوله ﷺ « ابتغوا إلى الله الوسيلة بالصلاة عليّ » .

وأمّا الاستمداد من أرواحهم فللخلاص من اشتهاء النفس ووسوسة الشيطان ، وهذا أيضاً أمر مسنون لقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية ، وقَوْلِهِ ﷺ « إذا تحيَّرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » ، وقوله ﷺ « إذا انفلت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احْبِسوا عليّ ، يا عباد الله احبسوا عليّ ، فإنّ لله في الأرض حاضراً سيحبسُهُ عليكم » رواه ابن مسعود ﷺ ، وقوله عليه السلام « إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني ، يا عباد الله أغيثوني ، فإنّ لله عباداً لا يراهم » رواه عتبة بن غزوان ، لأنَّ روحانية سيِّدنا محمد ﷺ كجسمانيّته في الفيض والنصرة والإمداد ، وكذا روحانية الأولياء والصالحين من أمّته معجزةً له عليه الصلاة والسلام وكرامةً لهم .

وفي « الأمالي » : **كرامات الأولياء بدار الدنيا لها كون ، فهم أهل النوال** . وقال الإمام الغزالي : **والرحلة لزيارة قبور الصالحين مندوبة ، ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم** .

وقال ابن حجر في « فتاواه » : ولا تترك زيارتهم لَما يحصل عندها من المنكرات كاختلاط النساء بالرجال وغير ذلك . .إلخ .

وأما تغميض العينين فلقطع الخواطر التي يوجبها النظرُ ولكمال الخشوع ، وهذا أيضاً أمر مسنون .

وأما رابطة الموت فلتذلّل النفس وانكسارها ، وهذه معدودة من الفرائض في رسالة الإمام حسن البصري لقوله تعالى ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وقوله عليه السلام أكثروا ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكرَهُ إلاّ أحيا الله تعالى قلبه وهوّن عليه الموتَ .

وذكر الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في هامش كتابه « صحيفة الصفا لأهل الوفا » ما يدل على أفضلية تفكر الموت وتذكُّره ، فلا بد من إيراده في هذا الموضع لنفاسته :

قال قدس سره عن مقداد بن أسود ﷺ : قال عليه السلام لأبي هريرة ﷺ : « كيف تفكرك وفيما ذا ؟ » قال : في قوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، قال عليه السلام « تفكُّرك خير من عبادة سنة » ثم سأل عليه السلام ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكره ، فقال : تفكُّري في الموت وهول المطلع ، قال عليه السلام « تفكرك خير من عبادة سبع سنين » ثم قال عليه السلام لأبي بكر ﷺ كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول : يا ربّ اجعلني بحال تملأ النار مني حتى يُصَدّق وعيدُك ، لا تعذب أمة محمد ﷺ فقال عليه السلام « تفكرك خير من عبادة سبعين سنة » ثم قال عليه السلام « أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ﷺ » . انتهى عبارته .

وأما رابطة المرشد فلقطع الخواطر والوساوس الشيطانية ، وللوسيلة إلى السير والسلوك ، وهي عبارة عن استحضار صورة مرشده الكامل مع روحانيته ، وتَخَيُّلُهُ ، والاستمداد منه بالقلب ؛ لأنه النائب عن النبيّ ﷺ في التربية والأمداد والفيض والإرشاد والتبليغ ، وهذا المعنى عبارة عن المحبَّة الكاملة له لله وفي الله ؛ لأنه الواسطة بيننا وبين نبيِّنا عليه الصلاة والسلام ، كما أنه عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبين الله تعالى .

ولا يجوز لأحدٍ أن ينكر الرابطة ؛ لأنّ الأولياء قد صرحوا بها وبحسنها ، وكذا الأئمة من كلّ مذهب من المذاهب الأربعة قد قالوا بجوازها تصريحاً وتلويحاً ، ومن أراد الاطلاع إلى بيان الرابطة ودلائل جوازها فعليه الرجوع إلى « تبصرة الفاصلين » و« فتاوى عمرية » و« هدية الذاكرين وحجة السالكين » .

وأما **رابطة الحضور** فلحصول الفناء في الله تعالى ، والانقطاع ممّا سواه لقوله تعالى ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وجميع التبتل بالإخلاص والحضور والانقطاع عما سوى المذكور ، ولقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وقَوْلِهِ في الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » . .إلخ ، وقوله « تفكّرٌ ساعةً خيرٌ من عبادة ستين سنة » ، وهذه الرابطة عبارة عن التفكر في أنّ الله تعالى حاضر بصير ، مطّلع على جميع أحوالك ، عالم محيطٌ بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والخوف والعظمة والجلال ، منزَّه عن المكان والجهة والنقائص والصورة ، كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، وكل ما خطر ببالك فهو منزه عن ذلك ، فسبحان من جعل العجز عن درك الإدراك إدراكاً .

وأمّا **الوقوف القلبي** فلقطع العلائق والحجاب ، وهو عبارة عن النظر والتوجُّه إلى القلب الصنوبري الشكل الذي تحت الثدي الأيسر بقدر أصبعين بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى بعد تجريد نفسه عن الجسمانيّة ، ويتصوّر نوراً بسيطاً وحدانيّاً مجرّداً عن الكيفيّات كلّها غَيرِ متعلق بشيء ظاهر على العالم الجسمانيّ ، كظهور الشمس على الجسمانيات ، بحيث يكون جميع العالم الجسمانيّ بالنسبة إلى ذلك النور البسيط كالذرة في شعاع الشمس ، ويعلق نظرُ بصيرته بذلك النور البسيط ، ويداوم على ذلك النظر حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعور لغير ذلك .

وصورة أخرى من الوقوف القلبي : أن يتوجَه إلى قلبه ويلاحظَ فيه أنَّ نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات ، ويجعلَ قلبه محاطاً بنظر الله تعالى ويستمرَّ على ذلك ، وبالاستمرار على تلك الملاحظة تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتَّى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود ، فعند ذلك يظهر سرُّ قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ويكون فانياً عن وجود الإمكان ، ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلِّها إلاّ وجود الحق سبحانه وتعالى فيظهر سرُّ قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فيكون واصلاً إلى الله تعالى . كذا في « شرح رسالة الخادمي » . قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي : من تطهَّر ظاهره بالشريعة وباطنه عما سوى الله تعالى بالكليَّة ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ، **وإنّ الله تعالى كما لا يقبل الشريك كذلك الذكرُ في القلب لا يقبَل الشريكَ** ، لقوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فلهذا يلزم أوّلاً تَهْيِئَة المحلِّ بالتخلية لمن أراد الذكر والتحلية .

وأمّا **الوقوف الذكريّ** ، فللألفة والأنس مع الذكر ، ولدفع الغفلة وجلب الحضور ؛ وهو : عبارة عن تخيل نقش لفظة الجلالة أعني لفظة (الله) على القلب بقلم النور ، أو تخيل جَرَيان الذكر في القلب بأيِّ كيفيَّة شاء مع ملاحظة المعنى ، وهو الذات بلا مثل المنزَّه عن المكان والجهة والنقائص والصّورة لا شريك له ، لقوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ الآية ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ، وقوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، وقوله ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ، أي انْقَطِعْ إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته ، كذا فسَّره الرازي . وفي الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » ، وفيه « عبدي إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي » .

وأما **الوقوف العددي** ، فلتمييز عدد الذكر الذي هو أهمُّ ، وهو عبارة عن ضبط عدد الذكر الذي ذكرته ، وهذا أمر مسنون ، لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل « يا معاذ ، كم تذكر كلَّ يوم ، أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ ألا

أدلّك على كلمات هُنّ أهون عليك وأكبر من عشرة آلاف وعشرة آلاف ؟ الحديث ، وقوله عليه السلام « نعم المذكّر التسبيح » .

وجوّز الفقهاء اتخاذ السبحة ، كذا في « البحر » و « الخزائن » و « الحلية » .

وفي « المصباح » : السبحة خرزات منظومة .

وأما قوله : (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) عند غلبة الخواطر وتشتّت النيّة بما سوى الله تعالى أو بلسانه مع ملاحظة المعنى فلتصحيح النيّة وإخلاص العزيمة ، لقول الله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ ، وطلبُ الرضاء في الأعمال أمر مشروع . انتهى من « هدية » عبارته . وكذا تخليص الأعمال من شوائب الشرك واجبٌ ، قال الله تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية ، فليتدبّر العاقل في عموم قوله ﴿شَيْـًٔا﴾ ونكارته ، ولهذه الكلمة خاصيّة ، إذا أكثر المريد ذكرها تنفي المقاصد والمطالب كلها .

وأمّا انتظار الواردات والفيوضات الإلهيّة على القلوب ؛ من التجلّي والأنوار والسكينة حالة الذكر والرابطة ، وبعد تمام الورد بسبب الذكر والرابطة فللبصيرة واليقظة وللأنس بها وللقيام بشكرها ، وهذا يسمّى بالمراقبة عند الأكثر ؛ لأنه يرادف معناها ، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال عليه الصلاة والسلام « إنّ الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده » انتهى من « هديّة الذاكرين » مع اختصار وتصرف بإيقاع بعض العبارات من نفائس سائر الكتب .

وأما الأبواب الأربعة ، فهي الشريعة ؛ وهي الباب الأول من الأبواب الإلهيّة الموصلة إليه تعالى لتكميل تزكية الإيمان والقلب ، قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي تطهّر ، وقال عليه السلام « الطهور شطر الإيمان » فافهم منه وتذكّر ما مرَّ نقلاً من « جواهر القرآن » .

قال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في هامش « صحيفة الصفا » على قوله : (واعلم أنَّ النيَّة والحضور شرط لكلِّ عمل يقصدُ به القربة) : إن كان العمل فرضاً أو واجباً ينوي به امتثال أمر الله واتباع نبيِّه ويَشرَع لله . انتهى المقول . قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية ، وقال عليه السلام « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنّه يراك » الحديث . **فإن هذا الحضور لا يحصل إلا بعد تصفية القلب وتخليصه عما سواه تعالى ، ولا يحصل التصفية والإخلاص إلا بالطريقة العليَّة ، فإنّهما فرضٌ أوّلٌ بعد الإيمان على العباد من الرجال والنسوان على قول أكثر العلماء** . انتهى من عبارته

مطلب على وجوب مجاهدة النفس

واعلم يا أخي أنّ علماء الشريعة والحقيقة قد أجمعوا على وجوب مجاهدة النفس وتطهُّرِها من الأمراض الباطنة ، كالكبر والحسد والغِلّ ومحبّةِ الدنيا ، **وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** . قالوا : **ولا طاعة للوالدين في ترك المجاهدة ، ولا يصير الولد بذلك عاقاً لهما كما لا يصير عاقاً بمخالفتهما في تعلم العلم الواجب** . فإن قيل : ما الدليل على وجوب رياضة النفس ومجاهدتها ؟ فالجواب : الدليل على ذلك ما ورد في عقوبة المتكبِّر والحاسد والمعجب والمرائي والمنافق ونحو ذلك ، وما توعَّدَ الله تعالى عبادَه عليه بالعقوبة يجب عليهم الخروج منه في هذه الدنيا ، وإلا فلا يُطَهِّرُهم من ذلك إلاّ النّار . وأيضاً فإنه كما يجب على العبد الخلوص من الأدناس النجسة في بدنه وثيابه ومكانه قبل دخوله في الصلاة ، فكذلك يجب عليه التطهُّر من صفات الشياطين التي في باطنه ، لتمكنه ملائكة الحضرة الإلهيّة من الوقوف بين يدي الله تعالى ، فإن كان من كان فيه خصلة من النفاق والكبر أو العجب مثلاً لا تمكنه الملائكة من دخول حضرة ربّه أبداً ، لأنها كالنجاسات الظاهرة على حدٍّ سواء . انتهى من « المواهب البريقة » عبارته .

مطالب مهمة على وجوب اتخاذ الشيخ

وسمعت سيّدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : يجب على كل مكلَّف أن يُنظِّف ظاهِرَهُ وباطنه من صفات الشياطين ، لتمكّنه الملائكة من دخول حضرة الله تعالى التي لا تصحُّ الصلاة عندهم إلا بدخولها . ومعظم غرض جميع الداعين إلى الله تعالى أنّ العبد يُطَهِّر باطنه كما يطهّر ظاهره ، ويطابق في جميع طاعاته بين الظاهر والباطن ، فيخرج عن صفات النفاق ويتخلّص بالإخلاص ؛ فهذا مُعْظَمُ قصدهم من تسليك المريدين ، وذلك ليلحقوا المريد برائحة التخلُّق بما كان عليه السلف الصالح من الصدق والإخلاص في جميع الأحوال ، واتهام النفوس بعد ذلك بأنها لم تُصَدّق ولم تَخْلُص .

ولا يتم ذلك لأحد إلا على يد شيخ صادق ؛ ولو بلغ في العلم الغاية وكان على عبادة الثقلين . فربّما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في العجب آخر عمره فحبط عمله كلّه ، فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية فسرح على شجر الحنظل ، ثم مجَّ ذلك على الخَلِيَّةِ فأفسد كلّ ما فعله تلك السنة . انتهى منه عبارته .

وقد ورد « إنّ عابداً عبد الله تعالى في جزيرة سبعين سنة – وفي رواية خمسمائة سنة – وأن الحق تعالى يقول له يوم القيامة : ادخل الجنة برحمتي ، فيقول : يا ربّي بل بعملي » ! فلو أنّ هذا العابد سلك الطريق على يدِ عارفٍ ، لَعَرَفَ من أوّل ما دخل في الطريق أنّ العبد لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى دون عمله ، وإن كان لزم العمل مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى منه عبارته .

وفيه : إنَّ أوَّل عمر العبد دخوله في طريق القوم ، ومن لم يدخل فيها فكأنّه لم يولد ، وهو بمثابة الأموات بالنسبة إلى أهل الطريق . وفي

كلام عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريِّين : بحق أقول لكم لن يلج ملكوتِ الأرض من لم يولد مرتين . انتهى . وهو إشارة إلى ما ذكرناه . انتهى عبارته .

وكان ﷺ[1] يقول : **لو أنَّ مريداً عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور** ؛ لجهله بمعرفة دسائس الأعمال الظاهرة فضلاً عن الباطنة ، بل ولا يعرف الطريقَ الموصلَ إلى ذلك حتى يتطلِبَ معرفة كيفيَّة التطهُّر ، وذلك لأنَّ معظم طريق القوم غيبٌ غير محسوس ، فلا يُدْرِكُ دسائس أعماله إلا من كشف الله تعالى حجابه . انتهى منه عبارته .

وكان سيِّدي عليُّ الخواص رحمه الله تعالى يقول : لو أنّ عبداً قرأ ألف كتاب في العلم بغير شيخ يفهم معانيها فلا ثمرة لذلك عند القوم . وسمعت سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : من لم يكن له شيخ - في هذا الزمان - يُخْرِجُهُ من ظلمة الشكوك والأوهام فبعيد أن يذوق شيئاً من مقام كمال الإخلاص في عبادة من العبادات الخالصة . انتهى منه عبارته .

ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح أو بعضه لا غيرَ . انتهى « لطائف المنن » عبارته ٤٧ . وقالوا : من لم يجد له شيخاً في بلده وجب عليه السفر في طلبه . انتهى منه . ومن وصايا الشعراني : فاطلب لك يا أخي شيخاً يبلّغك هذه المآرب ولو كان بينك وبينه بُعْدُ المشرقين . انتهى من « المواهب » عبارته .

وقال العالم المحقِّق محمد علي الجوخي في « فتاواه » ما حاصله : يجب اتخاذ الشيخ ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه لسفر الحجّ . انتهى بالمعنى .

---

(١) أي : عليّاً المرصفي .

وقال الشعراني في « المنن » : وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدلّه على الطريق مع كونه حجة الإسلام ، وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنّه قد لُقِّب بسلطان العلماء ، فكان شيخ الغزاليّ محمد الباذغاني وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلي .

وكان الإمام الغزالي ﷺ يقول لَما اجتمع بشيخه المذكور : ضيَّعنا عمرنا في البطالة ، يعني بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق . وكان الشيخ عز الدين رضي الله تعالى عنه يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه . فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سَعَة علمهما بالشريعة . فغيرهما من أمثالنا من باب أولى .

وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتّخذ أعمالي كلَّها وسائلَ إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلتْ تلك الأغراضُ ثَبَتُّ على ذلك وإلاّ تحوّلت منه . فلما اجتمعْتُ بأهل الطريق قالوا لي : اجْعَلْ أعمالك كلَّها مقاصد لتحضُرَ فيها مع الله تعالى ، ولا تتّخذْها وسائلاً ، فتموتَ ولا تصل إلى مقصودك ، فقرَّبوا عليَّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلاّ هذه الخصلة لكان فيها الكفاية . انتهى من عبارته ٤٩ .

وقال فيه أيضاً : وممّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ بعد المجاهدة أنَّ جميع ما كنت علَّمتُه من العلوم كلها ليس فيه شيء من الإخلاص ، وإنَّما هو مخلوط بالحظوظ النفسانيّة . انتهى من عبارته ٥١ .

وفيه وقد بلغنا عن الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - أنّه لما دخل طريق القوم كان يقول : قد وجدنا علوم الفقهاء حجاباً فيا ليتنا لم نضيّع عمرنا فيها . انتهى . وإنما يكون حجاباً على من لم يَخْلُصْ لِله تعالى عز وجل في تعلّمه وتعليمه . انتهى باختصار على المراد منه عبارته .

وفي المتممات » لأحمد ضياء الدين : وقال الشعراني في « الأنوار القدسيَّة » : وقد أجمع أهلُ الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه ، لتصحَّ صلاته من باب ؛ **ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب** ، ولا شكَّ أن علاج أمراض الباطن كلّه واجب كما تشهدُه الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، والوعيدُ بالعقاب عليها .

فعلم أنَّ كلَّ من لم يتَّخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ؛ لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلّف لا ينفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب ! فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تَنَزُّلَ الدواء على الداء ، فكلّ مَنْ سمعه وهو يدرِّس في الكتاب يقول : إنّه طبيبٌ عظيم ، ومَنْ رآه حين يسأل عن اسم للمرض وكيفيّة إزالته قال : إنّه جاهل ، فاتخذْ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكّر أبديَّة الآخرة ، وإيَّاك أن تقول : إنَّ طريق الصوفيّة لم يأت بها كتابٌ ولا سنّةٌ ، فإنّه كفر ! ! فإنها كلها أخلاق محمَّدية ، وسيرة أحمديَّة ، وسنن إلهيَّة .

وقال الشعراني أيضاً في « الجواهر » : وسُئِلْتُ عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بأعماله . فقلت : الإكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلَّى في قلبه التوحيد الحقيقي ، ويرى أعماله خلقاً لله تعالى وحده جملة ، ليس لعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبُّر على أحد من العصاة ؛ لأنّ العبد لا يرائي قط بعمل غيره ، ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى . فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟ قلت : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فطوَوْ به الطريق ، وقد **أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة**

والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى « أدخل الجنّة برحمتي » ، فيقول : يا ربّ بل بعملي ! وذلك لعدم فهمهم أنّ القرآن يتوقَّف على جلاء القلب . فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدي وحكم غيره كالصابون . انتهى من عبارته .

يقول الفقير الواعظ الغير المتّعظ : فلو أخلص من ليس له شيخ في عبادته وأتاها سالمة من العجب والرياء وغيرها ، فلا شكَّ أنّه بعد ذلك عبد الثواب لا عَبْدُ الله سبحانه ، لأن غاية أمر من لم يتخذ له شيخاً أن يعبد الله لمجرَّد الثواب .

قال الغزالي في « الإحياء » : **إنَّ العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه** . انتهى عبارته .

وفي « الإبريز » : كلّ ما عملته بقصد الأجور والحسنات فهو عمل لغير الله . انتهى عبارته ١٧٧ .

وفيه أيضاً : وأما المحرومون فهم الذين تكون أعمالهم لنفع نفوسهم ولتحصيل أغراضهم ، ولا تكون لله عزّ وجلّ ، وهذه الأعمال لا تزيد إلا بُعْداً من الله عزّ وجلّ ؛ لأنها مخالفة لسرّ حقيقة الذات ، فإن سرّ حقيقة الذات أنّها ذات مخلوقة لله ، مفعولة له ، مملوكة له ، منسوبة إليه ، لا نسبة لغيره فيها بوجه من الوجوه . فلو جرت أفعالها على هذا السرِّ لكانت كلُّها خالصة ، فكأنّه يقول : لا حظ لي في شيء من أفعالها إذ هي كلها مخلوقة لله ! فتخرج عنه الأعمال عند صدورها على سرِّ حقيقة الذات ، وأما أنّه يقول : ذاتي هي لله وأفعالها لي ، فينويها لنفسه ولتحصيل أغراضه ، فهذا لايجري فعله على سرّ حقيقة ذاته ، ولا يمكنه أبداً أن يُوفي بشيء من حقوق الله ؛ لأنّه يفعل لغرض نفسه لا لقيام بحق

الله ، فقد انقطع عن الله في أفعاله فتنقطع عنه العطيّة من ربّه عزَّ وجلَّ فيكون محروماً من المحرومين .

فقلت : وَرَدَتْ آيات كثيرة ، وأحاديث لا تحصى في الترغيب بذكر الثواب وجزيل الأجر لمَنْ فعل الفعل ، ولو كان كما قال سيدي عمر ومحمد الهروي لم يرد شيء منها بذلك ، لما فيه من القطع عن الله عز وجل ، فقال ﷺ : لا يرد علينا ما في الآيات والأحاديث ، لأنّه لم يقل فيها : اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أعمالكم في هذه الحالة بجزيل العطيّة ، وإنما قال : اعبدوني وأخلصوا العبادة وأنا أثيبكم . فنيَّتُنَا في أفعالنا تكون لله عز وجل ولعظمته وكبريائه ، ولما أسدى إلينا من العطايا الجسيمة ، وهو يثيبنا عليها عز وجل فضلاً منه ومنّة ، وإنّما يرد علينا ما في الآيات والأحاديث أن لو كانت العبادة مع الإخلاص لا أجر فيها ولا يثاب العبد عليها ، فحينئذ يرد ما ذكرتم ، وما أقبح العبد وأجهله ! حيث يظن أن يحصِّل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله ، وهو يعلم أنّ أفعاله لم يحصل منها ولا شعرة ، فإذا كانت الذات مخلوقة لله ، والأفعال مخلوقة لله فكيف يسوغ لنا أن نعتمد في الحسنات على أفعالنا المخلوقة له عزّ وجلّ ، ولا نعتمدَ على مجرَّد فضله ورحمته ؟ ! ولكنَّ الغفلة عن الله تعمي البصائر والعياذ بالله .

قال ﷺ : وقد كان بعض العباد يعبُدُ الله بقصد نفع نفسه وأن يعطيه ما يحب ، فدام على ذلك عشرين سنة ، وكان لحّاحاً في الطلب ، فما ظهر له شيء مما يطلب ، فتحيَّر في أمره ، فقال : كيف يكون هذا ؟ ! أنا أطلب الله في مسألة عشرين سنة ولم يعطني شيئاً ولا رحمني بها ؟ ! فألقى الله عز وجل عليه رحمة ، ورزقه في تلك اللحظة معرفة نفسه وأفعالها ، فقال : إني لأحْمَق ! إذا كان الله سبحانه خلق الذات وخلق أفعالها ، وخلق الصحة وخلق المكان الذي أعبده فيه ، فأي شيء عملت حتى أطلبَ عليه أجراً وأَستحقَّ بسببه ذكراً ؟ ! كلاّ والله ما فعلت شيئاً ، ولكن عمدْتُ إلى أفعال

الله فيَّ ، فقطعتها عنه ثم نسبتها إليَّ ، وجعلت أطلب بها عنده ، وأتمنَّى بها عليه حتى صِرْتُ أقول : وَقَفْتُ أنا ببابه عشرين سنة وما أعطاني شيئاً . أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب . فلمّا تاب إلى الله وعلم منه تعالى التوبة الصحيحة رحمه الله تعالى بأن أعطاه كلَّ ما يتمنَّى وزاده المعرفة به الّتي لا تعارضها جنة ولا غيرها . انتهى كلام « الإبريز » عبارته ١٥٩ .

فلو تدبَّر في هذه المذكورات من ليس له شيخ ، فعساه لم يعبد الله تعالى خالصاً لوجهه ولو مرّة ، بل كانت عبادته مشوبة بأغراض دنياوي أو أعواض أخراوي ، قال الله تعالى ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الآية .

فالحاصل أن تعلُّم العلم الباطني من الشيخ المرشد فرض عين على من لم يرزق له قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ والنفس القدسيّة الفطريّة ، وقليل ما هم ! وأحكام الدين إنّما تبنى على الأكثر الأغلب ، وتعلُّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ، كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخِّرين **من الحنفيّة** ؛ كابن الهمام وابن الشلبي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي ، وأمثالهم .

ومن الشافعية ؛ كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، والغزالي ، والسبكي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والشهاب ابن حجر ، وأضرابهم .

ومن المالكية ؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته أبي العباس ، وخليفته ابن عطاء الله ، والعارف ابن جمرة ، وناصر الدين ، والزروقيّ .

ومن الحنابلة ؛ كالشيخ عبد القادر ، وفخر الإسلام ، والشيخ عبد الله الأنصاري ، وابن النجار ، ونحوهم . فإن هؤلاء العلماء الكرام بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها

من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك ، وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية من الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، هكذا في « المتممات » و« الفتاوى العمرية » و« الفتاوى الچوخية » .

أصناف رجال الله تعالى

ولقد أردنا أن نورِد هنا نُبذة تدلُّ على أفضليَّة الطريقة النقشبنديَّة الصديقيَّة ، وأفضلية أربابها ، وإن مرّت الإشارة إليها سابقاً في هذا الكتاب . قال الشعراني في « منن »ه : ومما أنعم الله تعالى به عليّ إعطاؤه تبارك وتعالى لي الفرقان بين رجال الله تعالى ، فإنه ما كلّ الرجال أعطُوا الفرقان .

وهم ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، ذكرهم الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى في « الفتوتحات » :

الأول : العُبَّاد بضم العين ، وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة ، ومن شأنهم أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم عليه حتى يطلبوا الانتقال إليه ، فلا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهيّة الوهبيّة ولا مكاشفةَ لهم ، ويخافون من ظهُور أعمالهم أن تُحْبَطَ لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى .

الصنف الثاني : الصوفيَّة ، وهم رجال فوق هؤلاء العبَّاد ، فإنهم يَرَوْنَ أفعالَهم كلَّها لله تعالى ، مع ما هم عليه من الجِدِّ والاجتهاد والورع والزهد والتوكّل وغيرِ ذلك ، ويَرَوْنَ مع ذلك أيضاً أنّ جميع ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كَلاَ شَيْءَ ، وفيهم رعونة نفس بالنظر لأهل الطبقة العُلْيا ، فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوّتهم .

الصنف الثالث : الملامية ، وهم على قَدَم السيد أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - ومن شأنهم أنّهم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلاّ الرواتب ، ولا يفعلون من العبادات كلّها إلاّ ما

لا بدّ منه ، ولا يتميّزون عن غالب الناس بعبادة ، يمشون في الأسواق ويتكلّمون مع الناس بكلام العامة ، قد انفردوا بقلوبهم مع الله جلّ وعلا لا يتزلزلون عن عبوديّتهم ، ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء عظمة الله تعالى تبارك وتعالى على قلوبهم ، وهؤلاء أعلى الطوائف كلّها مقاماً ، كما فضل أبو بكر الصحابة كلّهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فتأمَّل في ذلك واطلب المقامات الثلاثة ، ولا تَقْنَع بشيء دون المقام الثالث ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى من عبارته ٥٢ .

وفي الحديث « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » . انتهى . وفي « جامع الأصول » : إنّ هذا الذي وقر في قلبه هو الذكر القلبي باسم الذات . انتهى بالمعنى .

وهذا الصنف الأخير الذي ذكره الشعراني هم النقشبنديُّون المنتسبون إلى الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ومرَّ مراراً ما يدلُّ على أفضليَّة طريقتهم ، وأثنى عليها المحقِّق ابن حجر بأنّها السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، ومدح بعض من الشاذليين طريقتهم بأنها عين هذه الطريقة النقشبنديَّة ، وقال : إنها سلطان الطرق ، وقد كانت أوضاعها وأصولها على أصل صحيح وأساس قوي ، كيف لا ؟! وقد قال القطب الأعظم والغوث الأفخم أحمد ضياء الدين في « المتممات » : إنَّ جميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ، ولبُّ القرآن ، وحقيقة العرفان ، وفي حقِّها أدلّة جملةً وتفصيلاً ، كما سيأتي البيان . انتهى من عبارته ١١١ .

وقال فيه أيضاً : أمّ الطرق . انتهى .

ولقد سمعتم أيّها الإخوان ما أوردناه في هذا الكتاب ، وعلمتم أنّي لم أتكلَّم من قِبَلِ نفسي ؛ ومع ذلك صدَّ المتشيّخون الناس عن أخذ الطريقة عن أهلها وأربابها قائلين : إن استعمال تلك الطريقة لا يقدر في ديارنا

الداغستانية ، حتى أنّ واحداً منهم صَعَدَ إلى المنبر في يوم الجمعة في قرية فلانيّة ووعظ الناس ، وقال : إنّ أخذ الطريقة لا يجوز ، ومع ذلك قد سعى خلف المريدين في القرى ، وتشيَّخ عليهم ، وعلّمهم الأذكار والأوراد ، ممّا ليس في طريقة من الطرق ، وبعضهم قد حرَّم الدخول فيها ، وقال : إنّ الذكر القلبي حرام للعوام . والله أعلم بما يترتَّب على صنيعهم ، ولا أعلم دليلاً ما على تصديق ما يقولون ، وتصويب ما يفعلون ، إلاّ أنّهم يصدُّون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجاً .

فالحاصل أن تسميتهم بقطاع الطريق أصوب من تسميتهم باسم المشيخة ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون . فلنرجع الآن إلى ما كنّا بصَدَده .

والحقيقة ؛ وهي ثالث الأبواب الإلهيّة المذكورة الموصلة إليه تعالى لتكميل الإنسان وكسب العيان . انتهى .

وفي « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر الهيتميّ المكيّ قدس سره : وسئل نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة ، فأجاب بقوله : فُرّق بينهما بفروق ؛ منها : إنّ الحقيقة هو مشاهدة أسرار الربوبيَّة ، ولها طريقة هي عزائم الشريعة ونهاية الشيء غير مخالفة له ، على ما يأتي . فالشريعة هي الأصل ، ومن ثم شبّهت بالبحر والمعدن واللّبَن والشجرة ، والحقيقة هي الفرع المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شبّهت بالدرّ والتبر والزَبَد ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور أنّه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبوديَّة ، وإنَّما يختلفان في مشاهدة الأسرار الربوبيَّة ، ولا شكَّ أنَّ أهلها متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك اختلافاً بينهما ،

وبيّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى بأنّ الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهرٌ وباطن ، والظاهر شرعيٌّ وغيره ، فالشرعيّ فرض ومندوب ، والفرض عين وكفاية ، والعين ؛ علم صفات القلب وعلمٌ أصلٍ وعلمٌ فرعٍ ، والعمل عزائم ورخص ، والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين : علم وعمل ، والعلم

وهبيّ وكسبيّ ، فالوهبيّ ؛ علم المكاشفة ، والكسبي فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين علم قلب وعلم أصل وعلم فرع ، فالكسبيّ الذي هو أحد علم نوعي قسمي الحقيقة هو علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتملة على منازل السالكين ، وتسمّى مقامات اليقين ، والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها ، وأصولها وفروعها ، وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً .

نعم هنا شيئان ؛

أحدهما : علم صفات القلب ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جدّاً ، وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته ، وتبديلِ صفاته الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به ، مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف .

والثاني : الرُّخَصُ ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكُّون في حقيقتها ، وأنها من رحمة الله على عباده ، وأمّا من حيث عملهم ! فإنّما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته ، وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلاّ في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى من عبارته ٢٢٧ .

الشريعة والمعرفة ؛ وهي رابع الأبواب الإلهيّة متلازمان لا يخالف بعضها بعضاً ، فإنّه لا ينفع ظاهر إلاّ بباطن ، ولا يعتبر باطن إلاّ بظاهر ، لأنّه ورد « إنّما الأعمال بالنيات » ، ولا تنفع النيّة أيضاً إلاّ بالعمل ، لأنّ النية شرطه ، مثلاً : إنّ الرجل إذا نوى الصلاة فلم يصلّيها لا تجزؤه عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلاّ بالنيّة ، كما بيّنه الإمام الشعراني في كتابه « الدرّ والياقوت » . انتهى من « هدية الذاكرين » عبارته .

وفسَّر صاحب « مهمّة المريدين » قدس سره لهذه الأبواب الأربعة بهذه العبارات : **الشريعة** : إتيان المأمورات وترك المنهيّات ، **الطريقة** : ترك دنيا وعقباً ، **المعرفة** : ترك ما سوى الله تعالى . انتهى من عبارته .

وفي « الباقيات الصالحات » : **رشحة** ، قال : سمعت مولانا نظام الدين عليه الرحمة يقول : يمكن لنا أن نبيّن الشريعة والطريقة والحقيقة في جميع الأشياء ، فإنَّ الكذب مثلاً منهيٌّ عنه ، فمن حفظ لسانه منه بالمجاهدة والسعي على طريقة الاستقامة ، بحيث لا يصدر عن لسانه باختياره وغير اختياره فهذه شريعة ، ولكن يمكن مع ذلك أن تكون في باطنه داعية الكذب ، فالسعي والمجاهدة في دفع هذه الداعية عن باطنه طريقةٌ ، فإن كان بحيث لايصدرُ عنه الكذب باختياره وبغير اختياره ، لا من قلبه ولا من لسانه فهذه حقيقة . وكان حضرة شيخنا ينقل عنه هذا الكلام في أكثر الأوقات ويستحسنه . انتهى من عبارته ١٣ .

وصلٌ في بيان أنَّ ما يفعله أهل هذه الطائفة النقشبنديّة مستندٌ إلى دلائل من الكتاب ، والسنة ، وآثار السلف ، قال صاحب « هديّة الذاكرين » : **اعلم** أنّ الإنابة هي : إمّا بمعنى الرجوع ؛ أي : الرجوع من الكفر إلى الإيمان ، أو من المعصية والمخالفة إلى الطاعة ، والموافقة لأمر الله تعالى ، أو من الغفلة إلى ذكر الله عز وجل ، وهذا أمر واجب لقوله تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الآية ، وإمّا بمعنى المراجعة ؛ أي : رجوع المكلّفين إلى المشائخ العالمين لتعلُّم كيفيَّة الإنابة إلى الله تعالى ، وكيفيَّة الذكر على الوجه المسنون ، ولتعلُّم أمور الدين . وهذا أيضاً أمر مشروع واجب على المكلَّفين لقوله ﷺ « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم » ، وبهذا المعنى تعبيرُ العوام بأخذ الإنابة من المشائخ ، وكذا الإنابة إليهم لا غير .

وأمّا الانتساب إلى المشائخ فأمرٌ مشروعٌ ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا باللذيْن من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسَّكوا بعَهْد ابن أمّ عبد » ؛ أي عبد الله بن مسعود ، ولقوله عليه السلام « العلماء ورثة الأنبياء » ، وَقَولِه « اتبعوا العلماء فإنّهم سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة » ، لأنّ الانتساب بمعنى الاقتداء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى ، وهدى إلى صراط مستقيم . انتهى . قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾ وهي إشارة إلى ذلك ، فإنّ المشائخ لما اهتدوا أهّلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتَّقين . انتهى من « عوارف المعارف » للسهرْوَردي عبارته . وورد في الخبر عن رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده لأقسمنَّ لكم أنَّ أحبَّ عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبِّبون الله إلى عباده ويحبّبون عباد الله إلى الله ، ويمشون على الأرض بالنصيحة » . وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لأنَّ الشيخ يحبِّب الله إلى عباده ويحبب عباد الله إلى الله ، ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله . انتهى من « العوارف » عبارته .

وأما النسبة إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم فهي كما قيل لمن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام واتبعه محمّديّ ، ومن اقتدى بمسلك أبي بكر الصديق في الذكر القلبي يقال له صدّيقيّ ، ومن كان على مذهب مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبنديّ ، وكذا من اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفيّ ، هكذا ورد في اصطلاح السلف وعُرْفهم . وتجيء النسبة بمعنى الإسناد ، وورد « الإسناد من الدين » لأنّ عليه مدار المجتهدين ، ومن لا سند له فهو لقيط .

وقال عبد الله بن المبارك : **لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، فلا بدّ من الوسائط والوسائل ، فلو لا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط ، وللوسائل حكم المقاصد .**

وأمّا تعلّم الذكر من المشائخ فأمر مسنون ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علّم النبيّ ﷺ الذكر القلبي لأبي بكر الصديق ﷺ ، والذكر اللساني عليّاً كرم الله وجهه ، وهما علماء سائر الصحابة والتابعين . والأحاديث في تعليمه عليه السلام الذكر جماعةً وفرادى مشهورة ، ولذا أعرضنا عن ذكرها ، ومن أراد التحقيق فليراجع « هديّة الذاكرين » و« جامع الأصول وغيرهما ، قال عليه السلام « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله » ، بل لا بدَّ أن يتعلم العلم من أهله .

وأما الأُخوَّة واتخاذ الأخوة ، فلقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الآية ، وقَوْله ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ ، ولقوله عليه السلام « تواخوا في الله أخوين » وقد آخى النبيّ ﷺ بين سلمان الفارسيّ وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكذا بين المهاجرين والأنصار ، وكذا بين الأصحاب مرّتين ، فهذه الأخوَّة أخوَّة خاصَّة فوق الأخوّة العامّة ، وكذلك أخوَّة المريدين المَنْسوبين إلى شيخ واحد ! لقوله عليه الصلاة والسلام « أكثروا من الإخوان » الحديث .

وأمّا البيعة ، فهي بمعنى المبايعة ، وهي والمقاومة والمعاهدة بمعنى ، وذلك جائز في المعاملات الشرعيَّة كلّها ، وأمّا المبايعة على فعل الواجبات والسنن ، وترك المنكرات والبدع فمشروع أيضاً ؛ لأنه عليه السلام فعلها مع الأصحاب مراراً ، مع الذكور والإناث ، فرضي الله تعالى عنهم وأعْلَمَهم رضاه بقوله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ﴾ الآية ، وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ الآية ، جعل الله النبيَّ ﷺ نائباً عنه تعالى ، وجعل الأصحاب نواباً وخلفاء عن النبي ﷺ ، وكذلك من بعدهم كابراً عن كابر إلى يوم القيامة من غير إنكار نكير ممن آمن بالله تعالى من أهل السنة والجماعة ، فكذلك نبايع أمّة محمد ﷺ على أداء الفرائض والواجبات ، وردِّ المظالم ، واستحلالِ أصحاب الحقوق ، والأخذِ بالعزائم ، وتركِ الرخص ، مع كمال اتباع السنن ، وتمام الاجتناب عن البدع وأهلها ، ودوامِ الذكر المأمور به من غير ترك .

ثم اعلم أنَّ المبايعين ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة ، والسلاطين ، والمبايِع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة هو الله تعالى ، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى في بيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يَجْمعها القيام بأمر الله تعالى ، وعلى الأتباع شروط يجمعها المتابعة فيما أمروا به . ولا تجوز البيعة على المعصية أصلاً ؛ لأنّه ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، كذا في « روح البيان » .

وأمّا المصافحة عند البيعة وغيرها فمسنون؛ لأنه ﷺ فعلها مع الأصحاب عند البيعة وغيرها ، دلّ عليه قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، وقال ﷺ « تصافحوا فإنّ المصافحة تَذهب بالشّحناء » وقال عليه السلام « تمام التحيّة الأخذ باليد والمصافحة باليمنى » ، وقال عليه السلام « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفراه غفر الله لهما » ، وقال عليه الصلاة و السلام « إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبَّهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة ؛ للبادئ تسعون وللمصافح عشرة » . وكان عادة الصحابة إذا تفرّقوا تصافحوا ، رضي الله عنهم .

وأمّا مبايعة النساء وتعليم الذكر لهنَّ ، فهي مشروعة مسنونة بشروطها وآدابها ، لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية ، وكيفيّة المبايعة معهنَّ مذكورة في كتب التفاسير والأحاديث ، والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها : والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمر الله تعالى ، وما مسّت كفُّ رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول إذا أخذ عليهنّ : « قَدْ بَايَعْتُكُنَّ » كلاماً .

وأما تعليم الذكر لهنَّ ، فلعموم الأمر به لجميع المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ، كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها ، وقال تعالى في حقّهنّ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ الآية ، وقال في آخرها ،

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ الآية ، وقال ﷺ « يا نساء المؤمنين عليكنّ بالتهليل والتسبيح والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات » .

وأما تعليم الذكر للعوام : فلعموم الخطاب قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية ، فعلى العلماء والمشائخ أن يعلموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ؛ لأنه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ الآية ومرّ هذا ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من سئل عن علم فكتمه ألجم من نار » ، وقوله « إنّي أعرف ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة ، الذين يحبّون الله ويحبّبونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله ، فإذا أطاعوا الله أحبّهم الله » رواه أبو سعيد . وكثرة الذكر تستلزم محبّة الله وهو من الأمر بالمعروف ، والأمر بالمعروف واجب حتى على الآحاد . قال تعالى ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ الآية من « هدية الذاكرين » عبارته .

يقول الفقير : إنّ تعليم الذكر وتلقينه أمر خاص بالمشائخ الكاملين المأذونين ، لا يجوز لأحد من غيرهم أن يباشر على ذلك لسرّ في التلقين ، وقد مرّ مراراً ، فليلاحظه هنا والله تعالى أعلم . وأمّا الذكر مطلقاً سواء كان سرّاً وجهراً باللسان أو بالقلب فمشروع بالاتفاق ، وإنّما الخلاف في الأفضليّة والأولويّة . قال عليه السلام « السرّ أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء » رواه ابن عمر .

وأمّا التوجّه ؛ أي : توجّه المشائخ إلى المريدين ، فهذا أيضاً أمر مسنون مخصوص كماله بأهل الطريقة وأرباب الحقيقة ، ونفعُهُ مشهودٌ لأهله . لقوله عليه الصلاة والسلام « جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم ،

فإنَّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » ، ولقوله « ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر أبي بكر » ، وقوله عليه الصلاة والسلام خير جلسائكم من ذكّركم الله رؤيته ، وزاد في علمكم مَنْطِقه ، وذكّركم الآخرة عمله .

ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالة قدره يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ويقول : يا أنس كنتَ خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ الآية ، فانظر يا أنس ، هل تجد في قلبي أثر النفاق ، فبكى أنس من شدَّة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضاً ظنّاً منه أنَّ بكاء أنس لرؤية النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر ! لا تبك ، وإنَّما بكيت أنا من شدَّة خوفك من النفاق وعدم أمْنِكَ منه . فقال عمر : يا أنس ! من أَمِنَ من النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون . ومعلوم أنَّ هذا نفاق رياء لا نفاق شرك ، كذا في « الفتاوى العمريّة » . وقيل هذه القصّة مع حذيفة اليمان صاحب سرّ رسول الله ﷺ .

قف على بيان التوجهات

وقال الشيخ سليمان الزهدي في « صحيفة الصفا لأهل الوفاء » : التوجّه ؛ وهو أن يلاحظ قلبَه تحت قلبِ المرشد يسيراً ، ولطائفِه كذلك ، أي : أهل لطائف ، وينتظر بواسطته الفيضَ ، ولو أهل نفي وإثبات كذلك . انتهى من عبارته .

وقال في هامشه : وفي الأثر : « إنّ جبرائيل عليه السلام توجّه النبيّ ﷺ في غار جبل حراء » . انتهى عبارته ٦ .

وفيه أيضاً : والنبيّ ﷺ توجّه أبا بكر ﷺ في غار جبل ثور .

وفي هامش « نهجة السالكين » : أوّل توجهٍ من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرّات ؛ مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرّة لإلقاء الوحي . وفي غار ثور توجَّه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ؓ ، وهو التوجُّه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى من عبارته ٢٧ .

والحاصل : إنَّ التوجه من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ؓ ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، من انتظر بالصدق وصل ومن انتهى بالغفلة ذهل . انتهى من عبارته .

وأما الذكر والختم والحلقة بالجمعيَّة والجماعات فمشروعة مسنونة ، لقوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجلَّ لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفوراً لكم قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات » ، ولقوله « إنّ أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإنَّ عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني ، ولقوله « إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا » قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنّة ؟ قال « حِلَقُ الذكر » ، ولقوله « إن لله تعالى سيارة من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر ، فإذا أتوا إليهم حفّوا بهم ، فيقول الله : غشوهم برحمتي فهم الجلساء الذين لا يشقى بهم جليسهم » أخرجه البزار عن أنس ، ولقوله كما في الصحيحين وغيرهما « إنّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم ، قال : فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، فإذا تفرّقوا عرجوا إلى السماء » . الحديث .

وأما تخصيص العدد في الخَتَمات والذكر والصلاة فمشروع أيضاً لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل « يا معاذ ، كم تذكر كلَّ يوم ، أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ » الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام « من صلى عليَّ في يوم مائة مرَّة قضى الله له مائة حاجة ؛ سبعين منها لِآخِرته

وثلثين منها لدنياه » ، وقولِهِ عليه الصلاة والسلام « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرَّة فقد اشترى نفسَه من الله عز وجل »[1] .

وأما غلق الأبواب والكوّات عند ختم السادة النقشبندية العلية ؛ فلئلا يشغلهم الناظرون عن الحضور والخضوع والخشوع ، ولدفع الخواطر ، فهذا أمر مسنون لما روى أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس بإسناد حسن ، قال : كنا عند النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « هل فيكم غريب يعني : أهل الكتاب أو من لم يطَّلع بَعْدُ على أسرار الشريعة . فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب ، فقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة ، وقلنا كذلك (لا إله إلا الله) ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ووضعنا ، ثم قال « الحمد لله اللهمّ إنّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنّك لا تخلف الميعاد » ، ثم قال ألا أبْشروا فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غَفَرَ لكم » الحديث . وهذا أمر مرغوب في كثير من العبادات ، وذلك أجمع للحواس على القلب وأبلغ في الحضور ، وكما تكره الصلاة تلقاء وجه الرجل وخلف النائم والمتحدّث عند الحنفيّة والمالكية ، يكره الختم في حضور غير المنتسبين لهذه الطريقة العليّة ، وكذا ترك الأبواب مفتوحة ، وهو من آدابهم القديمة .

وأمّا منع غير المنتسبين لهذه الطريقة من الختم ؛ فلأن هذا الختم أمر مخصوص مشروط بأهل هذه الطريقة العلية ، ليس لأحدنا تبديل طريقتهم ، وآدابهم ولا تغييرُها ؛ ولأنّ العمل لا ينفع إلا بالعلم ؛ ولأنّه لا فائدة في دخوله الختم من غير تعلّم ورخصة ، لأنَّ كلَّ واحد يقبل على شغله وذكره ، ويقرأ في نفسه سرّاً ، لا يسمعه غيره حتى يستبعد منه ،

---

[1] وفي « تحفة المريد » على « جوهرة التوحيد » ما نصه : قد أخرج البزار عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً « من تلا قل هو الله أحد ، مائة ألف مرة ؛ فقد اشترى نفسه من الله تعالى ، ونادى منادٍ من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه : ألا إن فلاناً عتيق الله ، فمن له قبله تَباعَةٌ فليأخذها من الله عز وجل » . وظاهر ذلك تكفير الكبائر بهذا أيضاً ، وهذه هي القيامة الكبرى . انتهى عبارته ١١٠ .

بخلاف ختمات سائر الطرق ، ولأنه لا فائدة لهم في إدخاله الختم ، بل ذلك مُضِرٌّ له ولهم لعدم رعايتهم الأدب ، وإن كان ممن يقرّ هذه الطريقة ويريد بدخوله العبادة والقربة ! فلا بدَّ له أوَّل أمره من الانتساب والتعلُّم من أهله ، وإن كان مراده التفرج وإمرار الوقت وتضييعه فهذا لا يجوز ، وإن كان مراده الاستخفاف والاستهزاء بالذاكرين فهذا كفر ، وعلى كلٍّ حال منعه أولى صيانة له ولهم . انتهى من « هدية الذاكرين » عبارته .

يقول الفقير : ولهذا دليل آخر لم يذكر صاحب « هديّة الذاكرين وهو : أنّ الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة وحصول الغفلة وظهور التفرقة ، كيف لا ؟ ! وقد قال في « الباقيات الصالحات » : إنَّ صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ، ولو كان من أهل الزهد والتقوى ، وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفا والنورانية . ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي هي فوق جميع النسب ، فإنَّ الحكم للغالب . فإن كان حال صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنُّك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب ، وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانيّة ؟! . انتهى من عبارته . حتى أنّ بعض المشائخ كان حين السماع يغلق باب الزاوية ولا يدع أجنبيّاً يحضر معهم وكانت تحصل لهم مواجيد عظيمة . ففي بعض المجالس لم يحصلوا على شيء من ذلك ، فقال لهم الشيخ : انظروا هل فينا أجنبيّ ؟ ! فقالوا : لا ، فقال : هل فينا آثار أجنبيّ ؟ فوجدوا نعلاً مبدلة بنعل الأجنبيّ ، فأخرجوها فعادوا لمواجيدهم . انتهى من هامش « ترصيع الجواهر » عبارته . وهكذا وجد عند آخرين عصا أجنبيّ ، وعند آخرين لباس أجنبيّ ، فتشوّشوا لذلك ، ولم يطيقوا لذلك الجمعيّة وإذهاب التفرقة حتى يطرحوهما خارج الزاوية . وتحقيق ذلك مبسوط في كتاب « سلسلة اليواقيت في سير المشائخ » .

وبيان ترتيب الختم الخواجكانيّة هذا : استغفار ٥ ، رابطة شريفة ، سورة الفاتحة ٧ ، صلواة شريفة ١٠٠ ، ألم نشرح لك ٧٩ ، سورة الإخلاص ، سورة الفاتحة ٧ ، صلواة شريفة ١٠٠ ، بعده عشر شريف ، بعده دعاء . انتهى من « هديّة الذاكرين » عبارته .

وقال سليمان الزهدي في كتابه « صحيفة الصفا » : ومن المهمات ختم الخواجكان قدس سرهم ، ويكون محلّه مسدوداً بالباب ، ومستوراً عن الناس ، وشرطه بعد الرابطة والوقوف ؛ مراعات الأعداد المعيّنة ، وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمدُّ منهم بحصول المقصود من الأعمال والآداب . انتهى من عبارته ٦ .

وقال في هامشه : ولا بدّ من مراعات الأعداد المعينة لنيل المقصود ، فإنها أسنان مفاتح خزائن الغيب ، وإن كان في محلّ خمسة إخوان فلا يتركوها ، وإن كان أقلَّ منها فمخيّر فيها ، ولا يتعدد محلّ الختم في بلدة واحدة كي لا يفتن ، إلا إذا كانت البلدة كبيرة بحيث لا يمكن الاجتماع في محلٍّ واحدٍ . لا بأس[٣] به .

ومبدأ مشائخ الخواجكانيّة من عبد الخالق الغجدواني قدس سرّهم ، فإنهم يجتمعون على قراءة هذه الختمة الشريفة لفتح المهمات ودفع البليات ، فإن أهم المهمات فتح الوجودات الظلمانية الحيوانية ودفع ظلماتها ، وصيرورتها إلى نورانيّ الإنسان الحقيقيّ المرآة الذاتية ، وتوفيق الرضا ، وإذا شرع ينوي بذلك بأمداد السادات الكرام ، وبشفاعة سيد الأنام ، ولا يترك في أوّل السور البسملة الشريفة ، وهي مشتملة

---

(١) بقدر سورة .

(٢) قوله (بعده عشر شريف) : لم أفهم المراد من هذه العبارة ولم أجده في سائر الكتب (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وإن كان كذلك لا بأس . علّه .

على أسرار عجيبة ، ومحاسن غريبة ، ومحتوية لمعان لطيفة في ترتيبها ، ليس هذا محل التفصيل والبيان ، وهي ضيافة الأرواح الفاضلة ، وحلقة البررة الكرام ، وممرُّ الكروبيِّين ، ومنظر القدسيين . من ذاق ما تركها ومن كسل زهلها ، اللهم اجعلنا مستقيماً ولا تجعلنا سقيماً على الحق ، آمين . من عبارته ٧ .

ومما يلزم قراءته في هذه الطريقة ختم الخواجكان ، وفي قراءته فيض كثير وفضل عزيز ، فقد لازم بقراءته الخواجكان قدس الله أسرارهم في كلّ ليلة الاثنين وليلة الجمعة ، وهو مرويّ عن الحسن البصريّ ، **ولكن لملازمة الخواجكان بقراءته أضيف إليهم .**

فشروط قراءته : أن يكون قارئه من أهل هذه الطريقة العليَّة ، أو مأذوناً منهم بقراءته ، وأن يكون متوضئاً جالساً على ركبته في مكان طاهر متوجهاً إلى القبلة ، وأن يراعي الترتيب والعدد بحيث لا يقدم بعض ما يقرأ فيه على البعض ولا يزيد ولا ينقص في العدد ، وإن كان مع الجماعة تقسم العدد عليهم ، وأن يستحضر روحانيّة الخواجكان قبل الشروع فيه ، ويقرأ هذا : اللهمّ يا مفتّح الأبواب ، ويا مقلّب القلوب والأبصار ، ويا خالق الليل والنهار ، ويا دليلِ المتحيِّرين ، ويا غياث المستغيثين ، توكّلت عليك يا ربّ العالمين ، وأُفَوِّضُ أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، سبحان ربِّك ربِّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين . ثمَّ يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات ، ثمَّ يصلي على النبي ﷺ مائة مرة ، ثمَّ يقرأ سورة ألم نشرح لك مع البسملة تسعاً وتسعين مرة ، ثمّ يقرأ سورة الإخلاص مع البسملة إحدى وألف مرة ، ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات أيضاً ، ثم يصلّي على النبي ﷺ مائة مرّة ، ثم يهب ثوابه لرسول الله ﷺ ولأصحابه الخواجكانية النقشبنديّة ، وهذا أحسن ، ثم يرفع يديه ويدعو الله ويتوسّل به إلى حصول مقصوده ، **ويأكل بعد الفراغ عن الدعاء بعضاً من الحلويات كالتمر والزبيب** . انتهى من « سلسلة الخواجكان » عبارته .

وله آداب ؛ منها : تغميض العينين ، والاستغفار خمساً وعشرين مرَّة أوَّله ، والجلوس متوركاً عكس تورك الصلاة . انتهى من « البهجة » عبارته ٥٨ .

والأحسن أن يدعو بالدعاء المنقول عن جناب حضرة سيِّدنا وشيخنا المكرم ، قدس الله تعالى سره وأفاض علينا فيضه وبرَّه ؛ وهو : بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ يا حيُّ يا قيُّوم يا بديع السموات والأرض ، يا مالك الملك ، يا ذا الجلال والإكرام ، صلِّ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك عدد معلوماتك ، وبارك وسلم كذلك ، وأوصل مثل ثواب ما قرأناه وما قرأه أحد من المؤمنين والمؤمنات عموماً ، والمنتسبين إلى الطريقة النقشبندية خصوصاً ، في آفاق العالم ومشارق الأرض ومغاربها ، بعد القبول إلى روح كل من صار سبباً لقراءته ، ولكل من الحُضَّارِ ، وآبائهم وأمهاتهم ، وكل مؤمن ومؤمنة وكل وليٍّ ووليَّة ، وكل من سادة السلسلة النقشبنديَّة والقادريَّة والسهرورديَّة والكبرويَّة والچستيَّة ، وكل من آباء كلّ ، وأمهاته ومشائخه وخلفائه ومريديه ومنسوبيه ومحسوبيه المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين ، وثواباً مثلَ أضعافا ذلك ، كما تحبّ وترضى إلى ساحة سيد المرسلين ، وخاتم النبيّين سيِّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وإلى روح كلٍّ من آله وأولاده وأزواجه وأصحابه وإخوانه ، من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وآل كل أجمعين ، واحشرنا معهم بفضلك آمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلِّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أبد الآبدين في كلّ لحظة وحين ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من « البهجة » عبارته ٥٨ . ولا يحرك أعضائه حالة الذكر وختم الخواجكان غير الأصبع الذي يجر السبحة به ويعدُّ ، ولا يتأوّه ولا يَأَنُّ .

مطلب مهم غفل عنها بعض المريدين

ولا يصيح بالحالات والفنايات ، وكلٌّ ذلك مدخل للشيطان وحظوظ النفس ، وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك كما مرَّ . ويهتمُّ المرشد منعَ ذلك ، وسبب ذلك إما الجهل عن الأصول أو ادِعاء العشق ، وليست طريقتنا طريق العشق والهيجان ، بل طريقتنا طريقة العبودية والسكينة ، وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية لذاته ورضائه . انتهى من « نهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » عبارته ٢٥ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : « تحريك الأصابع في الصلاة مذعرة[١] للشيطان » ، وكذلك في الذكر غير الأصبع الذي يجرُّ السبحة . عن جابر وأبي الدرداء رضي الله عنهما : « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة وألقى عليه الخشوع والبكاء » المراد بالبدعة مخالف الشرع ، وخلاف أصول الطريقة الخشوع والبكاء ، ومع موافقه الشرع والأدب من الرحمن . انتهى من هامشه عبارته ٢٧ .

وقد ألجأني إلى تأليف هذا الكتاب أمور ؛

منها : كتابة واحد من العلماء المنتسبين في زعمه إلى هذه الطائفة ردودات في زعمه على ديباجة كتابنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » وهو الباعث الأوّل إلى التأليف ، وقد خطِئ ذلك العالم في تلك الردودات ، فوجب على من أدرك الصواب أن يحاجَّ به على المخطئ ، كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ . وفي « البيضاوي » في تفسير هذه الآية : لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من عبارته ؛ وهو قول نفيس ، لكن ولو وجدت من يتصدَّر للاحتجاج ، ويُظهر الحق من الباطل والصواب من الخطأ ، لما أظهَرْتُ

---

(١) ذعره : أفزعه . « مختار » .

من نفسي مما عندي من العلوم ولو شيئاً ، ولو لم أجد في الكتب أن الكتاب الذي لم يذكر فيه اسم مؤلفه لا ينتفع به لما كتبت اسمي في صدر الكتاب ، لما أني لم أكن أهلاً للتصنيف .

ومنها : إعانة الإخوان المنتسبين إلى هذه الطريقة في دلالتهم إلى هذه الآداب المذكورة ، وصيانتهم من الشك والشبهة فيها .

ومنها : حماية إخواننا المؤمنين عن الوقوع في الخطأ والطعن في تلك الطريقة وأربابها ، وقد ورد : « لا يطعن في العلماء إلا قلب فاسق » ، وورد في الحديث أيضاً « إذا لعن آخر هذه الأمة أوَّلها فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتِم ما أنزل الله على محمد » رواه جابر .

ومنها : الذبُّ عن هذه الطريقة وأهلها ما لم يكن أربابها يستعملونها بإظهار ما ورد فيها بلا تغيير ولا تحريف ، وأرجوا من الله تعالى أن يسلكني في سلك من أحيا السنة ، وأمات البدعة ، وهو الجواد الكريم .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : إنه ﷺ يحب من يُبلِّغ سنته التي اندرست إلى من يجهلها من أمته ، ومن أحبه ﷺ حُشر معه ، لقوله ﷺ : « يحشر المرء مع من أحبَّ » ومن حُشر مع النبي ﷺ لا يلحقه في مواقف يوم القيامة كُرَبٌ . انتهى من عبارته ٤٩ .

فالآن حان أن نعرض عن الكتابة ، ونفرغ للتوجه إلى الله سبحانه ، وقد كثرت بسبب هذا التأليف الخواطر ، واستولت على سويداء القلب الهواجس ، فأستغفر الله من قول بلا عمل ، ودعوى بلا علم مع تقصير فيه وخلل ، ومن كل خطر دعاني إلى التصنّع والتزيّن في كتاب سطرته أو كلام نظمته أو علم أخذته ، ومن كلّ ما زلّ به القدم ، وطغى به القلم ، وأسأله أن لا يجعله وزراً ووبالاً ، وأن يجعله سبب عفو وغفران ، وحاشا أن أعدَّ لنفسي من المؤلِّفين ، بيد أني جمعت أقوالَ المصنِّفين ونقولَ العلماء العارفين ، وليس لي في ذلك نسبة مّا سوى أني حركت القلم ، فالمرجوّ ممن اطلع إلى هذا الكتاب أن يصلح ما خطأ ، ويقيم ما عوج ،

ولا ينظر إلى من قال ، وينظر إلى ما قيل ، امتثالاً لما ذكره السيوطي في « الدرر المنتثرة » من أثر : لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال . انتهى من عبارته . وأطلب منه أيضاً الدعاء لي وخاصة لأستاذي ، فإنه روح جسدي ، ونور بصري ، ولا يخفى أنّ كلّ من اطلع هذا الكتاب وتبين جميع ما فيهِ ولم يرجع بَعْدُ من إنكاره على هذه الطائفة النقشبندية فقد تحقّق أنّ داءَه معضل ، ولا علاج له سوى أن نقول له سلام .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين . قد تمّ التأليف في ليلة السبت من محرم هذه السنة ١٣٢٣ ، واستراح القلب من نكدة تزاحم الخطرات ، فأسأل الله تعالى أن يجعله نافعاً للعباد ، ووسيلة للاتصال بمراتب أهل الإيصال ، وليس في انتسابي إلى سلك ساداتنا النقشبندية مناسبة ما قط ، إلا رجائي وحسن ظني بحسن رجائي .

فالحاصل أن شرح أحوالي هذه الأبيات :

لست أهلاً لوصلهم فظلامي ... حائل أن يحلّ منهم ضياء
هجروني ولست أنكر أني ... لم أزل مذنباً وكلي خطأ
غير أني التجأت قدماً إليهم ... وعزيز على الكرام التجاء
ورجوت النوال منهم وظني ... بل يقيني أن لا يخيب الرجاء
إن أكن مذنباً فهم أهل عفو ... وعلى الكون إن رضوني العفاء
أو أكن أكدر المحبين قلباً ... فلمثلي منهم يكون الصفاء
أو يكن في الفؤاد داء قديم ... فلديهم لكل داء دواء
أو أكن فاقداً فعال محبّ ... فلقلبي على الوداد احتواء
أو يروْني أفلست من عمل البر ... فمنهم نال الغنى الأغنياء
أو أكن مثرياً ولست بهذا ... فمع الهجر ما يفيد الثراء

أو أكن نازح الديار فمنهم لحظات تدنو بها البعداء

فالحمد لله أولاً وآخراً ، سراً وجهاراً ، ليلاً ونهاراً ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ، بعدد من صلّى عليه ، وبعدد من لم يصل عليه ، وبعدد ما صلى عليه ، ورضي الله تعالى عن ساداتنا النقشبندية العلية أبي بكر ، سلمان ، قاسم ، جعفر ، طيفور ، أبو الحسن ، أبو علي ، يوسف ، عبد الخالق ، عارف ، محمود ، علي ، محمد بابا ، أمير كلال ، محمد نقشبند ، علاء الدين ، يعقوب ، عبيد الله ، محمد زاهد ، درويش محمد ، خواجكي ، محمد باقي ، أحمد ، محمد معصوم ، سيف الدين ، نور محمد ، حبيب الله ، عبد الله ، خالد شاه ، محمود أفندي ، يونس ، جبرائيل أفندي ، عبد الرحمن العسلي ؛ قدس الله أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم وبركاتهم :

اللهم اجلبنا إلى محبتك ، ومحبّة أوليائك ، وأمتنا على السنة والجماعة ، وارزقنا التوفيق والاستقامة ، واجعلنا مقبولين عند هؤلاء الأكابر بحرمة سيد السادات ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات آمين .

يا ربِّ يا وَهَّابُ هَبْ لِي مِثْلَهُمْ   من الجَذْب والتوْفِيقِ والعفو والغفران

يا رَبِّ يا وهَّابُ هَبْ لِي مِثْلَهُمْ   من الجَذْب والتوفيق والعِلْم والغُفْرَان

يا ربِّ يا وهَّاب هَبْ لِي مِثْلَهُمْ   من الجذب والتوفيق والعشق والإحْسَانِ

يا ربِّ يا وهَّاب هَبْ لِي مِثْلَهُمْ   وَجَذْبٍ به أَسْبَقُ الأحْباب فِي التَدَانِي

قد وقع الفراغ من كتبة هذا الكتاب المسمى « بالجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية »

بيد عبد الفقير محمد ولد العالم المرحوم الحاج أحمد البدوي الخرتكني

في يوم الثلثاء من شهر صفر ١٣٨٤ سنة .

الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية ٢٧٢
المراقبات ٢٩٦
رسالة سيف الله قدي ٣١٦
الإسناد من الدين ٣٢٧
الأصل من مولانا خالد البغدادي ٣٣١
الجذبة والسلوك ٣٣٤
الدلائل على جواز تلقين الذكر القلبي ٣٥٠
الأصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب ٣٥٢
همم الرجال تقلع الجبال ٣٥٣
خاتمة ٣٦٥
شروط الصحبة ٣٦٦
كيفية الرابطة ٣٦٩
آداب الذكر ٣٧٢
فوائد الوضوء ٣٧٩
أصناف الرجال الله تعالى ٣٩٤
الفهرس ٤١٤